IJSSP

المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334)
15 – نيسان – 2021 م

www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[المعرفة العقـدية في المدرسة الأشعرية بالغرب الإسلامي – آليات البحث ومقاصد الخطاب - من خلال جهود علماء الغرب الإسلامي]

[إعداد الباحث: محمد حبيب الله]

[الماستر في العلوم الإسلامية ومقاصدها المنهجية والمعرفية/ - الماجستير في الهندسة المدنية تخصص الجيوتقنية/ - الماستر في اللغة الفرنسية وآدابها]

[باحث في سلك الدكتوراه، الفكر الإسلامي: التحديات المعرفية والخصائص المنهجية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، جامعة الحسن الثاني- المغرب]

ملخص البحث:

هذا البحث يحاول أن يثير مجموعة من القضايا والإشكالات التي تكشف النقاب عن مكامن السر في تشبث علماء الغرب الإسلامي بالمعرفة العقـديــة بمنهج المدرسة الأشعرية. مع كشف آليات البحث ومقاصد الخطاب من خلال جهودهم في خدمة العقيدة الأشعرية ومعرفة نقط القوة في هذا المذهب التي منحته القدرة على التكيف والاستمرارية وسرعة الانتشار. وبتتبعنا لمختلف الأطوار التاريخية التي مر بها هذا الفكر في هذه المنطقة بالذات سنكشف أوجه تميزه واستقلاليته عن المدرسة الأشعرية في المشرق وإن كان مستمدا منها، مما يجلي طبيعة العلاقة الجدلية القائمة بين هذا الفكر وخصوصية الواقع المغربي، وملابساته التاريخية والاجتماعية والسياسية التي عرفها. سيما وأن الفكر الأشعري المغربي قد عرف قفزة نوعية، سواء من حيث تطوره التاريخي الحضاري، أو من حيث مضامينه وثوابته، أو خصائص منهجيته الفكرية والنظرية في المعرفة العقدية ومقاصدها. التي حققت له الاستقرار وجنبته الصراعات العقائدية والطائفية المتطرفة كما جنبته الفتن والقلاقل. والمقالة تُذَكِّرُ بإسهام المغاربة في الحفاظ على عقيدة أبي الحسن الأشعري وتراثه.

الكلمات المفتاحية: المعرفة العقـدية - المدرسة الأشعرية - الغرب الإسلامي – آليات البحث والمناهج - مقاصد الخطاب - جهود علماء الغرب الإسلامي.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[The Theological Knowledge in the Ash'ari School of the Islamic West - the Mechanisms of Research and the Purposes of the Discourse - Through the Efforts of Scholars of the Islamic West]

Summary:

This research tries to raise a set of issues and dilemmas that will help uncover the secret of the clinging of Islamic scholars to the doctrinal knowledge of the Ash'ari school curriculum. With the discovery of the mechanisms of research and the purposes of the discourse through their efforts in the service of the Ash'ari belief and knowledge of the strengths of this doctrine that gave it the ability to adapt, continuity and speed of spread.

By tracing the various historical phases that this thought has gone through in this region, we will reveal its distinctions and independence from the Ash'ari school in the East, even if it is derived from it, thus demonstrating the nature of the dialectical relationship existing between this thought and the specificity of the Moroccan reality, and its historical, social and political circumstances that it knew. Especially since Moroccan Ash'ari thought has experienced a quantum leap, whether in terms of its historical and civilizational development, or in terms of its contents and constants, or the characteristics of its intellectual and theoretical methodology in the doctrinal knowledge and its purposes. Which brought him stability and spared him extremist ideological and sectarian conflicts, as well as spared him strife and unrest. The article recalls the Moroccan contribution to preserving the faith and heritage of Abi Al-Hassan Al-Ash'ari.

key words: Theological knowledge - The Ashary school - The Islamic West - Research mechanisms and approaches - The purposes of the discourse - The efforts of the scholars of the Islamic West.

المقدمة:

يعد المذهب الأشعري منظومة فكرية عقدية، أمدت علماء الأمة الإسلامية بمنهج وبقدرة فائقة على الدفاع - الجامع بين النقل والعقل - عن جميع قضايا العقيدة المتكاملة، وتمكن المذهب الأشعري من وقف كثير من المدارس التي كانت تقدم نفسها للناس على أنها المتفردة بمخاطبة الفكر دون سواها كفكر المعتزلة والخوارج والشيعة وغيرها.

لقد ارتبطت العقيدة الأشعرية بتاريخ المغرب ارتباطا قويا وطويلا امتد أكثر من عشرة قرون، ومثل لها ثابتا من ثوابت هويتها مع الفقه المالكي والتصوف السني، ولهذا فإن الاهتمام بتاريخ حضورها وتطورها في هذا البلد يعد مطلبا علميا جديرا بالاهتمام والمتابعة.

لذلك، فإن هذا البحث سيحاول أن يثير مجموعة من القضايا والإشكالات التي ستساعد في كشف النقاب عن مكمن السر في تشبث علماء الغرب الإسلامي بالمعرفة العقـدية بمنهج المدرسة الأشعرية. ثم ما هي آليات البحث ومقاصد الخطاب من خلال جهود علماء الغرب الإسلامي في خدمة العقيدة الأشعرية وما هي نقط القوة في هذا المذهب التي منحته القدرة على التكيف والاستمرارية؟

ومما لا شك فيه، أن تتبعنا لمختلف الأطوار التاريخية التي مر بها هذا الفكر في هذه المنطقة بالذات سيكشف لنا الآليات التي كانت تحركه، وأوجه تميزه واستقلاليته عن المدرسة الأشعرية في المشرق، مما يكشف طبيعة

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

العلاقة الجدلية القائمة بين هذا الفكر وخصوصية الواقع المغربي المميز، وملابساته التاريخية والاجتماعية والسياسية والحضارية التي عرفها. سيما وأن الفكر الأشعري المغربي قد عرف قفزة نوعية، سواء من حيث تطوره التاريخي، أو من حيث مضامينه وثوابته، أو منهجيته الفكرية والنظرية ومقاصد خطابه..

وقد بذلت ما في الوسع من الجهد سائلاً المولى القدير أن يوفقني للصواب، متوخيا تحقيق بعض الأهداف، أذكر منها:

- بيان جهود علماء الغرب الإسلامي في حفظ قواعد أصول الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين.

- كشف المناهج وآليات البحث وكذا مقاصد الخطاب عند علماء الغرب الإسلامي لخدمة أصول الدين عامة والعقيدة الأشعرية خاصة. مع بيان نقط القوة في هذا المذهب التي منحته القدرة على التكيف والاستمرارية والانتشار وسبب تمسك المغاربة به.

- الإشكال:

إن هذا البحث سيحاول أن يثير مجموعة من القضايا والإشكالات التي ستساعد في كشف النقاب عن مكمن السر في تشبث علماء الغرب الإسلامي بالمعرفة العقـديــة في المدرسة الأشعرية من خلال الإجابة عن بعض أهم التساؤلات: - ما هي آليات البحث ومقاصد الخطاب من خلال جهود علماء الغرب الإسلامي في خدمة العقيدة الأشعرية وأوجه التميز والاستقلالية عن المدرسة الأشعرية في المشرق؟ - وما هي نقط القوة في هذا المذهب التي منحته القدرة على التكيف والاستمرارية بهذه الجهة من العالم الإسلامي؟

- أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أنه يعين الباحثين والدارسين على فهم الدرس العقدي، وتصحيح النية والاعتقاد. إذ به يرجى قبول العمل وغاية ذلك كله الفوز بسعادة الدارين [1] وتحقيق الوحدة والاستقرار. وبهذا تحفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين. ويحقق الأمن الروحي اعتمادا على الدليل لا استرسالا مع التقليد. وإرشاد المسترشدين بإيضاح المحجة، وإلزام المعاندين بإقامة الحجة، وغير ذلك، وَيُسَلِّح المهتم به بأدوات تؤهله أن يجلي كثيرًا من الإشكالات والشبهات التي يطرحها قوم من المستشرقين الغير منصفين، وغيرهم من المنحرفين المتقدمين والمتأخرين. وحاولت أن استقرئ بعض الكتب التي ناقشت وعالجت هاته القضايا لإنجاز هذا البحث الذي يتكون من مقدمة وأربعة مطالب، وخاتمة.

- المطلب الأول: الفكر الأشعري بالغرب الإسلامي

[1]- أنظر: المواقف في علم الكلام للإيجي ص: 8. / شرح جوهرة التوحيد للباجوري، ص: 45/ رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، ص:79

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

لقد تأثر الغرب الإسلامي بالتحولات الفكرية التي عرفتها بلدان المشرق. كما أن علماء المشرق أنفسهم كانوا حريصين على أن تصل آراؤهم ومذاهبهم إلى مختلف ربوع العالم الإسلامي. وكانت بوابة الغرب الإسلامي ومعبر الآراء والمذاهب إليه تونس –أو إفريقية بتعبير القدماء- وخاصة حاضرتها القيروان.

ومن أوائل الذين نشروا الأشعرية بالقيروان أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيدي المعروف بالقلانسي (ت 359هـ) [2] . وقد كان ابن أبي زيد القيرواني على صلة علمية بأبي عبد الله بن مجاهد البصري (ت 370هـ) أحد تلامذة الإمام أبي الحسن الأشعري، حتى إن بعض المصادر جزمت بتحول ابن أبي زيد إلى المذهب الأشعري بعد كتابته لرسالته الشهيرة التي جاءت مقدمتها العقدية على مذهب السلف في تفويض معاني الصفات الإلهية وتجنب التشبيه والتأويل معا. وكان لتلاميذ الإمام أبي بكر الباقلاني (ت 403هـ) -وهو من أعلام المالكية والأشعرية في الآن نفسه- دور بالغ الأهمية في نشر الأشعرية بتونس. ومنهم أبو الحسن القابسي (ت 403هـ)؛ وأبو عمران الفاسي (ت 430هـ) الذي استقر بالقيروان بعد عودته من المشرق.

وفي الفترة نفسها تقريبا كان العلماء الذين عادوا من الرحلة إلى المشرق ينشرون الأشعرية في أقصى الغرب الإسلامي؛ أي في الأندلس. ومنهم الإمام أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت 392هـ)، والمحدث أبو عمر الطلمنكي (ت 429هـ)، وأبو عمرو الداني المقرئ (ت 444هـ)، والقاضي أبو الوليد الباجي (ت 474هـ).

أما في المغرب الأقصى فقد احتاج انتشار الأشعرية إلى مدة أطول نسبيا لأسباب كثيرة؛ منها أن المغرب لم يعرف المذاهب العقدية غير السنية كالاعتزال والتشيع إلا في حدود ضيقة وفي مناطق محصورة؛ ولذلك لم تكن الحاجة ماسة عند العلماء إلى تبني الأشعرية في بيئة قَلَّ فيها الخلاف العقدي، وكان يكفيهم موقف كبار العلماء من سلف الأمة انتشار الأشعرية بالمغرب إلى القرن السادس الهجري.

ومن أبرز العلماء الذين نشروا الأشعرية في المغرب أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي القيرواني (ت 489هـ) صاحب "التجريد في علم الكلام"، وتلميذه أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير (ت 520هـ) شيخ القاضي عياض وصاحب أرجوزة وافية في العقيدة. ومنهم أبو عبد الله محمد بن خلف الإلبيري (ت 537هـ) صاحب "الأصول إلى معرفة الله والرسول" و" الرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء".

وظلت الأشعرية في عهد المرابطين حبيسة الأوساط العلمية؛ لأنهم كانوا شديدي التحفظ مما يمكن أن يزعزع الوحدة الدينية والمذهبية للمجتمع. وكانت نزعة المحافظة عند طائفة من العلماء المقربين من أمراء المرابطين وحرص طائفة أخرى على إرضائهم من أسباب هذا الوضع.

ومع الموحدين –الذين وظفوا قضايا العقيدة في نزع المشروعية من المرابطين واتهموهم بالتشبيه والتجسيم- ستعرف الأشعرية بالمغرب مرحلة مد عام وكاسح لتكامل الأدوار ما بين سلطة العلماء والسلطة السياسية. وبالإضافة إلى ما لقيته "مرشدة" ابن تومرت وكتاباته في الاعتقاد من احتفاء اتجه العلماء إلى دراسة وتدريس المصادر الحقيقية للمذهب الأشعري ككتاب "الإرشاد" لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني. ومن أبرز علماء هذه الفترة أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلالجي (ت 574هـ) الذي نبغ في علم العقيدة وكثر تلامذته الذين أخذوا عنه العقيدة الأشعرية حتى لقب بـ" منقذ أهل فاس من التجسيم ". وقد عرفت رسالته المختصرة "العقيدة البرهانية" انتشارا واسعا في المغرب، وأقبل عليها العلماء يشرحونها ويدرّسونها. وإذا كانت الأشعرية قد التحمت بالتدريج بالفقه المالكي منذ العصر الموحدي؛ فإن معظم أهل التصوف أيضا كانوا يميلون إلى المذهب الأشعري. والالتحام

[2] - أو 361هـ.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

بين المكونات الثلاثة للتدين في المغرب هو الذي سيلخصه لاحقا الفقيه عبد الواحد بن عاشر (ت1040 هـ) [3] – وهو يوضح عمدة منظومته التعليمية "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" - قائلا:

في **عقد الأشعري** وفقه مالك *** وفي طريقة الجنيد السالك

وبقيت "البرهانية" و" مرشدة" ابن تومرت مهيمنتان على مجالس العلم بالمغرب إلى أن ألف العلامة محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ) ضمن ما ألف في العقيدة رسالته "أم البراهين" أو "العقيدة الصغرى". فكتب لها الانتشار لصغر حجمها، وبعدها عن التعقيد. ظلت "أم البراهين" وشروح العلماء عليها مرجعا في علم العقيدة بالمغرب في حلقات الدرس إلى عهد قريب. ولم يكن يزاحمها على هذه المكانة إلا بعض المنظومات العقدية باللغة الأمازيغية التي كان بعض الفقهاء يؤلفونها لتكون مرجعا لطلبة منطقة سوس في بعض الزوايا.

وقد أسهمت الأشعرية رفقة المذهب المالكي والتصوف السني في خلق انسجام مذهبي وعقدي في المغرب جنبه كثيرا من القلاقل والفتن التي كانت تقع في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي بسبب الخلافات العقدية. وبرغم بروز اتجاهات عقدية غير أشعرية عند بعض علماء المغرب بعد القرن السادس الهجري؛ فإن التعبير عن الخلاف كان محصورا في السجال العلمي. ولم تتحول الأشعرية إلى موضوع نقاش وأخذ ورد في المجتمع المغربي، بل في الغرب الإسلامي عموما إلا بعد أن تعرضت لهجوم ممنهج في العقود الأخيرة...

- المطلب الثاني: المعرفة العقـدية عند الأشاعرة بين النقل والعقل

منهج المعرفة العقـديــة عند الأشاعرة يعتمد الإطار المرجعي المتمثل في الوحي من الكتاب والسنة، كما يعتمد الإطار الاستدلالي المتمثل في العقل. وكان **الأشاعرة** مؤتمين بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، متمسكين بالدلائل العقلية والشواهد السمعية، وإذا تأملت كتب الحديث المتفق على صحتها كموطأ مالك رحمه الله وصحيحي البخاري ومسلم وجدتهم ناطقين عنهما وناقلين منهما قدوتهم في ذلك الإمام أبي الحسن الأشعري الذي" لم يأت برأي ابتدعه ولا مذهب اخترعه، وسبيله في بسط القول في مسائل الأصول كسبيل مالك -رحمه الله- وغيره من الفقهاء فيما بسطوا القول فيه من مسائل الفروع..." [4]

وقد أصبح المذهب الأشعري مرجعا أساسا لحفظ عقائد المسلمين، والرد على المخالفين، يقول الإمام القاضي عياض[5] (476هـ - 544هـ) في ترجمته للإمام أبي الحسن الأشعري:" وصنف لأهل السنة التصانيف، وأقام الحجج على إثبات السنة، وما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى، ورؤيته، وقدم كلامه، وقدرته، وأمور السمع الواردة من الصراط والميزان والشفاعة والحوض وفتنة القبر التي نفت المعتزلة، وغير ذلك من مذاهب أهل السنة والحديث، فأقام الحجج الواضحة عليها من الكتاب والسنة والدلائل الواضحة ودفع شبه المبتدعة" [6]

وهناك نص أخر للقاضي عياض يؤكد فيه هذه الحقيقة التي لا تترك مجالا للشك في كون الإمام أبي الحسن الأشعري ظل وفيا لمذاهب أهل السنة والجماعة في مجال الاشتغال العقدي، يتعلمون على يديه أساليب الدفاع عن العقائد

[3]- عبد الواحد بن عاشر 990هـ- 1040 هـ. هو أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري، المعروف بابن عاشر، وهو من حفدة الشيخ أبي العباس ابن عاشر السلاوي ت 765هـ. فقيه عالم من المغرب. يعد من أبرز علماء المذهب المالكي واشتهر بمنظومته" المرشد المعين على الضروري من علوم الدين "والتي نظم فيها الفقه المالكي، بالإضافة إلى باب العقيدة والتصوف، والتي تعد مرجعا مهما عند علماء المذهب المالكي .وساهم ابن عاشر في توفير الغطاء الشرعي لحركة المجاهد العياشي.

[4]- عيون المناظرات للإمام السكوني، ص: 225.

[5]- أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي (476هـ - 544هـ/ 1083م 1149 م) حافظ ومحدث المغرب والأندلس قاض مالكي . العلامة والفقيه المؤرخ الذي كان من بين الناس العارفين بعلوم عصره.

[6]- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض تحقيق: محمد بن تاويت د. محمد بنشريفة وآخرون الناشر: وزارة الأوقاف المغربية، الرباط المغرب، د، ت.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

الدينية. حتى أصبح مصطلح الأشعرية مرادفا لمصطلح أهل السنة يقول القاضي عياض: "... فلما كثرت تواليفه – الإمام الأشعري- وانتفع بقوله، وظهر لأهل الحديث والفقه ذبه عن السنن والدين، تعلق بكتبه أهل السنة، وأخذوا عنه، ودرسوا عليه، وتفقهوا في طريقه، وكثر طلبته وأتباعه لتعلم تلك الطرق في الذب عن السنة، وبسط الحجج والأدلة في نصرة الملة فسموا باسمه وتلاهم أتباعهم وطلبتهم، فعرفوا بذلك وإنما كانوا يعرفون قبل ذلك بالمثبتة، سمة عرفتهم بها المعتزلة، إذ أثبتوا من السنة والشرع ما نفوه... فكذلك أبو الحسن، فأهل السنة من المشرق والمغرب بحججه يحتجون، وعلى منهاجه يذهبون، وقد أثنى عليه غير واحد منهم، وأثنوا على مذهبه وطريقه."[7]

النظر وأحكامه:

تعريف النظر:

النظر لغة: الفكر في الشيء تقديره وتقيسه[8] .

قال الجوهري[9]:" النظر تأمل الشيء بالعين" [10] .
وقال صاحب تاج العروس:" نظره: كنصره وسمعه ونظر إليه نظرا: تأمله بعينه[11] .
والنظر: تقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته. وقد يراد به التأمل والفحص. وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص

وإذا قلت نظرت في الأمر احتمل ان يكون تفكرا وتدبرا بالقلب[12] ؛ واحتمل أن يكون رؤية بالعين.

النظر اصطلاحا:

عرفه الإمام الباقلاني بأنه: الاستدلال الذي لا يحصل الا عن استئناف الذكر، والنظر والتفكر بالنظر والعقل[13].

ونستشف ان النظر عند الامام الباقلاني هو الاستدلال أي نظر القلب المطلوب به علم ما غاب عن الضرورة والحس وان الدليل: هو ما أمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه الى معرفة ما لا يعلم باضطراره..." [14] وقال الباقلاني:" وأما الاستدلال والنظر فهو تقسيم المستدل وفكره في المستدل عليه وتأمله له، المطلوب به علم حقائق الأمور" [15]

وعرفه امام الحرمين قائلا:" النظر في الاصطلاح الموحدين هو الفكر الذي يطلب به من قام به علما أو غلبة ظن..." [16]

---

[7]- ترتيب المدارك للقاضي عياض، ج5ص:25.
[8]- ينظر لسان العرب 217/5.
[9]- هو: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، أبو نصر، وهو من فرياب - أحد بلاد الترك -، كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلماً، وهو إمام في علم اللغة والأدب، وخطه يضرب به المثل في الجودة، كان يؤثر السفر على الحضر، ويطوف الآفاق، له مصنفات عديدة، مات في جمادى الأولى سنة 453هـ. انظر: معجم الأدباء (656/2)، وبغية الوعاة للسيوطي (446/1).
[10]- ينظر تاج اللغة وصحاح العربية 830/2.
[11]- ينظر تاج العروس 573/3.
[12]- ينظر المصدر نفسه 573/3
[13]- ينظر الإنصاف ص: 14-15.
[14]- ينظر الإنصاف ص: 15.
[15]- ينظر التمهيد ص: 14.
[16]- ينظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص: 3.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وقال: والنظر الصحيح هو الفكر المنوط بطلب وجه الدليل على وجه يوصل إليه..." [17]
وعرف الإمام الإيجي[18] قائلا:" هو ملاحظة العقل ما هو حاصل عنده لتحصيل غيره..."[19]
ونستخلص مما سلف أن المدرسة الأشعرية عرفت النظر بأنه الاستدلال وهو نظر القلب الذي يطلب به علم ما غاب عن الضرورة والحس. وأن الدليل هو الذي يتوصل به الى العلم النظري الذي لا يعلم بالضرورة.
ومنهم من عرفه بأنه الفكر الذي يحصل به معرفة علم أو غلبة ظن وهو التوصل بما يحصل عند العقل لتحصيل غيره.
وعليه ذهب الأشاعرة إلى أنه يجب على كل مكلف أن ينظر في الوجود قصد الاستدلال به على الخالق سبحانه وتعالى.
فما حكم النظر عند المدرسة الاشعرية؟

مذهب الإمام الأشعري والسادة الأشعرية في مسألة النظر

اختلف أعلام المدرسة الاشعرية في حكم النظر على ثلاثة أقوال:

- القول الأول: الوجوب.
- القول الثاني: القول بعدم الوجوب.
- القول الثالث: التفصيل.

1- الذين قالوا بوجوب النظر:

ذهب الإمام الباقلاني إلى أن أول ما فرض الله على جميع المكلفين النظر؛ لأنه سبحانه لا يعرف بالفطرة ولا بالحس والمشاهدة فقال رحمه الله تعالى:" أن أول ما فرض الله عز وجل على جميع العباد. النظر في آياته، والاعتبار بمقدوراته، والاستدلال عليه بآثار قدرته، وشواهد ربوبيته؛ لأنه سبحانه غير معلوم باضطرار، ولا مشاهد بالحواس، وإنما يعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالأدلة القاهرة، والبراهين الباهرة." [20]
وذهب الإمام الباقلاني الى ابعد من هذا؛ حيث أكد انه يجب على المكلف ان يعرف المبادئ والمقدمات، التي يتوقف الدليل عليها، ولا يتم النظر الا بعد معرفتها، وفي هذا المقام يقول رحمه الله:" أن الواجب على المكلف أن يعرف بدء الأوائل والمقدمات التي لا يتم له النظر في معرفة الله عز وجل وحقيقة توحيده، وما هو عليه من صفاته التي بان بها عن خلقه، وما لأجل حصوله عليها استحق أن يعبد بالطاعة دون عباده. فأول ذلك القول في العلم وأحكامه ومراتبه"[21].
ولعل هذا النص ونحوه [22]هو الذي جعل بعض المؤرخين للمذاهب ينسب اليه القول بمبدأ له خطره، وهو أن:" بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول".[23]
وذهب الإمام ابن فورك رحمه الله إلى القول بوجوب النظر[24] وكذلك أكد الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايني أن النظر واجب؛ لكونه مقدمة مقدورة للمعرفة الواجبة مطلقا، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[25].

---

[17]- ينظر الشامل في أصول الدين ص: 97.
[18]- الإيجي عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، عضد الدين الإيجي الشيرازي، وإيج من نواحي شيراز، من أبرز تلامذته سعد الدين التفتازاني، ومن أشهر مصنفاته كتاب: (المواقف في علم الكلام)، مات مسجونا قرب إيج سنة 756 هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 46/10، الدرر الكامنة: 110/3، الأعلام: 295/3.
[19]- ينظر المواقف – النسخة المجردة- ص: 22.
[20]- ينظر الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص: 22.
[21]- ينظر المصدر نفسه ص: 22.
[22]- ينظر التمهيد ص: 11-12.
[23]- ينظر المقدمة لابن خلدون ص: 519.
[24]- ينظر الشامل في اصول الدين ص: 121.
[25]- ينظر شرح المقاصد، تحقيق د: عبد الرحمن عميرة 271/1 و262.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وجعل عبد القاهر البغدادي[26]النظر العقلي شرطا في صحة إيمان العبد؛ ولهذا قال:"من شرط صحة الإيمان عندنا تقدم المعرفة بالأصول العقلية في التوحيد والحكمة والعدل وثبوت النبوة والرسالة واعتقاد شريعة الاسلام ومن شرطه معرفة صحة ذلك كله بأدلته المشهورة؛ وإن لم يعلم دليل فروعها؛ صح إيمانه..." [27].

ويؤكد الإمام البغدادي ما ذكره متقدمو أعلام المدرسة الأشعرية قائلا:" وإنما أضيفت العلوم الشرعية إلى النظر؛ لأن صحة الشريعة مبنية على صحة النبوة، وصحة النبوة معلومة من طريق النظر والاستدلال ولو كانت معلومة بالضرورة من حس أو بديهة؛ لما اختلف فيها اهل الحس والبديهة ولما صار المخالف فيها معاندا كالسوفسطائية المنكرة للمحسوسات..."[28].

وقال إمام الحرمين الجويني:"النظر والاستدلال المؤديان الى معرفة الله سبحانه واجبان..." [29].

بل حكى أهل الكلام الإجماع على وجوب النظر لمعرفة الله تعالى؛ لأنها لا تأتى إلا بذلك، وعلى هذا فأول ما يبدأ به المكلف بعد بلوغه هو البحث والنظر في الأدلة ، وإقامة البراهين والدلائل على وجود الله ؛ لكي يكون إيمانه بالله قائما على يقين واعتقاد جازم .

وهذا الرأي عند أهل الكلام هو رأي قديم بالنسبة لهم، وقد يكون ظهوره مع بدايات ظهور علم الكلام، لكن القول بأن هذا الرأي مجمع عليه عند المسلمين، قد يكون متأخرا عن ذلك، ولعل أقدم من نقل الإجماع على ذلك –حسب تتبعي – هو الجويني، ثم تابعه من جاء بعده من أهل الكلام.

يقول الجويني مقررا ذلك: (فإن قال قائل: ما الدليل على وجوب النظر من جهة الشرع؟ قلنا: الدليل عليه إجماع المسلمين) [30] .

ويقول الإيجي: (النظر في معرفة الله تعالى واجب إجماعا) [31].

ويقول التفتازاني: (لا خلاف بين أهل الإسلام في وجوب النظر في معرفة الله تعالى) [32].

ومن الذين حكوا الإجماع على ذلك: أبوا سعيد النيسابوري، وابن الزاغوني، والآمدي[33]، وذكر أنه هو المعتمد عند الأصحاب، واليافعي، والجرجاني ، ... والظواهري ، وغيرهم [34].

ونستشف من خلال النصوص السالفة ان مذهب جمهور الأشعرية ان النظر في الدليل الموصل الى معرفة الله واجب [35].

في حين ذهب أعلام المدرسة الأشعرية من المتأخرين إلى القول بوجوبه قال في السنوسية:"...والى وجوب المعرفة، وعدم الاكتفاء بالتقليد ذهب جمهور أهل العلم...وذهب غير الجمهور إلى أن النظر ليس بشرط في صحة الإيمان؛ بل وليس بواجب أصلا؛ وإنما هو من شروط الكمال فقط...والحق الذي يدل عليه الكتاب والسنة: وجوب النظر الصحيح مع التردد في كونه شرطا في صحة الإيمان أولا، والراجح انه شرك في صحته..."[36].

---

[26]- عبد القاهر البغدادي عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي، أبو منصور، من متكلمة الأشاعرة، له مؤلفات متنوعة، من أشهرها في الكلام: (أصول الدين)، و(الفرق بين الفرق) ، توفي سنة : 429 هـ . انظر: وفيات الأعيان: 203/3، الوافي بالوفيات: 31/19، سير أعلام النبلاء: 572/17.

[27]- ينظر أصول الدين ص: 269.

[28]- ينظر المصدر نفسه ص:14-15.

[29]- ينظر الشامل في اصول الدين ص:115.

[30]- ينظر الشامل ص: 119-120.، والإرشاد: 31.

[31]- ينظر المواقف: 28.

[32]- ينظر شرح المقاصد 262/1.

[33]- الآمدي علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي الحنبلي ثم الشافعي، أبو الحسن ، من كبار متكلمي الأشاعرة ، ومن المكثرين في التصنيف في فنون عدة ، من أشهر مؤلفاته في الكلام : (أبكار الأفكار) ، و (غاية المرام) ، توفي سنة : 631 هـ . انظر: وفيات الأعيان : 293/3 ، سير أعلام النبلاء : 364/22 ، طبقات الشافعية للسبكي : 306/8.

34- ينظر الغنية في أصول الدين ص: 55، والإيضاح :179. والأبكار 156/1 ومرهم العلل ص: 47 وشرح المواقف 252/1. والتحقيق في علم الكلام :34-35.

[35]- ينظر وليراجع معالم أصول الدين ص: 19-24. ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص: 61-65.والمواقف ص: 28-29.

[36]- ينظر أم البراهين ص: 55-57.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وقال في الحاشية على أم البراهين:"...والراجح أنه شرط يعني: في صحة الإيمان بمعنى: أنه لا يوجد الإيمان ولا يتحقق إلا إذا نشأ عن النظر؛ وأما إذا نشأ عن تقليد فلا يحصل الإيمان، ويحصل الخلود في النار..." [37].
إلا أنه عاد فقال:"...وقد علمت سابقا أن هذا خلاف الراجح".
وأن الراجح: أن النظر واجب وجوب الفروع في حق من فيه أهلية للنظر، وحينئذ فالمقلد الذي فيه أهلية النظر مؤمن عاص فقط، وإيمانه منج له من الخلود في النار.
وأما إن كان ليس فيه أهلية النظر فهو مؤمن غير عاص..." [38].
وقال الباجوري[39]:"...يجب على كل مكلف من ذكر أو أنثى وجوبا عينيا معرفة كل عقيدة بدليل ولو إجمالا وأما معرفتها بالدليل التفصيلي ففرض كفاية..." [40].
وقال:" وبعضهم أوجب الدليل التفصيلي وجوبا عينيا..." [41].
2- الذين قالوا بعدم وجوب النظر.
ذهب الشهرستاني إلى معرفة الله ضرورية فطرية لا تحتاج إلى نظر واستدلال: فلم يدع إيجاب النظر كما فعال الأشاعرة، ويرى ان الشرع لم يوجب النظر على المكلفين؛ لأن:" الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[42] وإن هم غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء فلا شك أنهم يلوذون إليه في حال الضراء {دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }[43] { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ}[44] ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك[45].
وممن أعرض عن إيجاب النظر من الأشعرية الإمام أبو جعفر السمناني وقد تمسك بقوله تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}[46] وحديث:"كل مولود يولد على الفطرة"[47].
فإن ظاهر الآية والحديث يدل على معرفة الله تحصل للعبد بأصل الفطرة، فلا يحتاج سليم الفطرة الى النظر والاستدلال والتفكر وأما الخروج والانحراف عن هذه الفطرة فهو : أمر يطرأ على الفطرة وانحراف يحصل للشخص بسبب أمر طارئ لقوله صلى الله عليه وسلم:" فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء"[48]

---

[37]- ينظر حاشية الدسوقي على أم البراهين ص: 57.
[38]- ينظر المصدر نفسه ص:58.
[39]- الباجوري إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، شيخ الأزهر ، متكلم أشعري ، له مؤلفات ، من أشهرها : (تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد) ، توفي سنة : 1277 هـ . انظر : هدية العارفين : 41/1 . الأعلام : 71/1 ، معجم المؤلفين : 84/1 .
[40]- ينظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص: 21.
[41]- ينظر المصدر نفسه ص:21.
[42]- سورة إبراهيم الآية: 10.
[43]- سورة يونس الآية: 22.
[44]- سورة الإسراء الآية : 67.
[45]- ينظر نهاية الإقدام في علم الكلام ص:124.
[46]- سورة الروم الآية : 30.
[47]- ينظر صحيح البخاري كتاب التفسير باب لا تبديل لخلق الله .
[48]- ينظر صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين .

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

ويرى أبو جعفر السمناني أن ايجاب اعلام المدرسة الاشعرية للنظر على كل احد بقية بقيت في المذهب الاشعري بتأثير الاعتزال، وقد صرح عن هذا المعنى قائلا:"...إن هذه المسألة بقية في مقالة الأشعري من مسائل المعتزلة..." [49].

3- الذين ذهبوا إلى التفصيل في مسألة إيجاب النظر:

ذهب الإمام الآمدي إلى وجوب النظر إلا انه لم يوجبه على كل مكلف، بل فصل في المسألة؛ حيث يرى ان النظر واجب؛ ولكن ليس هو الطريق الوحيد لمعرفة الله تعالى؛ بل هناك طرق أخرى لتحصيل معرفة الله، ثم من عرف الله بغير النظر، فالنظر في حقه غير واجب.

وقد وضح مذهبه في إيجاب النظر قائلا:"...أجمعت الأمة على وجوب معرفة الله تعالى ومعرفة الله لا تتم الا بالنظر، اذ هي وأمر غير بديهي، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب..."[50].

وأكد هذا المعنى قائلا:"...إن النظر واجب... ودليل وجوبه: أنه لما أنزل قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }[51]

قال عليه السلام:"ويل لمن لاكها بين لحييه ولم يتفكر فيها[52] يوعد على ترك النظر والتفكر فيها فدل على وجوبه..." [53].

ويقول أيضا:"...أجمع أكابر أصحابنا والمعتزلة وكثير من أهل الحق من المسلمين على أن النظر المؤدي إلى معرفة الله واجب؛ غير أن مدرك (أي طريق إدراك) وجوب عندنا –أي المدرسة الأشعرية- الشرع خلافا للمعتزلة في قولهم: إن مدرك وجوبه العقل دون الشرع..."[54].

وبعد أن وضح الآمدي مذهبه في النظر عموما، شرع يفصل في المسألة: حيث نجده أكثر دقة، وأقل تشددا من المتكلمين الذين ذهبوا إلى من لم يعرف الله بالطرق التي وضعوها فهو مقلد والمقلد مختلف في إيمانه عندهم[55].

.

وقد وضح هذا المعنى قائلا:".. ولكن لا نسلم أنه لا طريق إلى معرفة الله تعالى إلا النظر والاستدلال؛ بل إن أمكن حصولها بطريق آخر:

- إما بأن يخلق الله تعالى العلم للمكلف بذلك من غير واسطة.
- وإما بأن يخبره من لا شك في صدقه، كالمؤيد بالمعجزات القاطعة.
- وإما بطريق السلوك والرياضة وتصفية النفس وتكميل جوهرها حتى تصير متصلة بالعوالم العلوية عالمة بها مطلعة على ما ظهر وبطن من غير احتياج الى دليل ولا تعلم ولا تعليم..." [56].

ويخالف الإمام الآمدي جمهور المتكلمين الذين ذهبوا إلى أن النظر واجب على كل مكلف بعينه؛ وإنما يوجب النظر في حق من لم يعرف الله الا عن طريقه فهذا محتاج الى النظر وأما من عرف الله بأي طريق آخر فالنظر في حقه لا

---

[49]- ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري 349/13.

[50]- ينظر أبكار الأفكار، ميكرو فيلم بمركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى مصور عن مكتبة أيا صوفيا بتركيا برقم 2165 توحيد 125/1ب.

[51]- [آل عمران: 190، 191] .وقد ذكر المؤلف جزء من الآية وأتممتها لتوضيح المعنى .

[52]- رواه عبد بن حميد في تفسيره والطبراني وابن ابي حاتم وابن حبان في صحيحه ورواه عبد الله بن محمد ابن ابي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار. ينظر تفسير القرآن العظيم 440/1-441.

[53]- ينظر الإحكام في أصول الأحكام 229/4.

[54]- ينظر أبكار الأفكار، ميكرو فيلم بمركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى مصور عن مكتبة أيا صوفيا بتركيا برقم 2167 ورقمه بالمركز 601.

[55]- سيأتي بحث مسألة التقليد في التوحيد عند السادة الأشعرية.

[56]- ينظر أبكار الأفكار :99/1 وينظر درء التعارض 356/7.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

يجب وقد وضح هذا المعنى قائلا:"...نحن إنما نقول بوجوب النظر في حق من لم يحصل له العلم بالله تعالى بغير النظر، فالنظر في حقه غير واجب..." [57].

وإذا رجعنا إلى متأخري الأشعرية، نجد في السنوسية ثلاثة أقوال:

- الأول: إن المعرفة في العقائد واجبة على كل أحد وجوب الفروع سواء كان فيه أهلية للنظر أم لا، فإن قلد فيها كان مؤمنا عاصيا.
- الثاني: إن المعرفة في العقائد واجبة وجوب الفروع: إن كان فيه أهلية للنظر؛ وإلا فلا تجب؛ وعلى هذا فالمقلد:
- إن كان فيه أهلية للنظر يكون مؤمنا عاصيا.
- وإن لم يكن فيه أهلية للنظر كان مؤمنا غير عاص، فالنظر شرط كمال في صحة الإيمان.
- الثالث: إن المعرفة في العقائد واجبة، وجوب الأصول، وحينئذ فالمقلد كافر، لأنه متى قيل هذا الشيء واجب وجوب الأصول فمعناه ان من ترك ذلك يكون كافرا. وهذا القول مبني على أن النظر شرط في الإيمان ولا يتحقق إلا إذا نشأ عن نظر واستدلال.
- وأما إذا نشأ عن تقليد فلا يحصل الإيمان ويحصل الخلود في النار.

ولكنه رجح القول بخلافه[58] .

ولنتساءل ما هو الطريق الذي سلكه أعلام المدرسة الأشعرية في وجوب النظر ؟

استدل أعلام المدرسة الأشعرية على إيجاب النظر على كل أحد بمسلكين:

- أحدهما نقلي.
- والآخر عقلي.

✓ أما المسلك النقلي فيتمثل في أمرين:

❖ الأول: نصوص الكتاب والسنة التي دعت إلى التفكر والتدبر في آيات الله ومخلوقاته التي بثها في الآفاق وفي الأنفس[59] ؛ نحو قوله تعالى:

- {أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}[60]
- وقال تعالى {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} [61]
- وقال تعالى {فَانْظُرْ إِلَى أَثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[62]. والأمر للوجوب "[63].

❖ الثاني: الإجماع.

قال إمام الحرمين: فإن قال قائل: فما الدليل على وجوب النظر من جهة الشرع ؟

قلنا: الدليل عليه إجماع المسلمين على وجوب معرفة الله تعالى مع اتفاقهم على أنها من أعظم القرب وأعلى موجبات الثواب..." [64].

وقد ذهب جمهور الأشاعرة إلى أن طريق وجوب النظر هو الشرع.

---

[57]- ينظر أبكار الأفكار مخطوط نسخة رقم 1954 ونسخة رقم 1603 وقد تمت مقابلة النص على النسختين وينظر درء التعارض 7/356-357.تحقيق محمد رشاد سالم.

[58]- ينظر أم البراهين ص: 45-57.

[59]- ينظر الانصاف ص: 29. والمواقف ص: 28-29. ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص: 64. وشرح المقاصد ص: 268 تحقيق عبد الرحمن عميرة

[60]- سورة الغاشية الآية 17.

[61]- [يونس: 101]

[62]- [الروم:50]

[63]- ينظر المواقف ص: 29.

[64]- ينظر الشامل في أصول الدين ص: 119-120.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

- قال الباقلاني:" وإذا صح وجوب النظر، فالواجب على المكلف النظر والتفكر في مخلوقات الله لا في ذات الله والدليل عليه قوله تعالى: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[65] ... وأيضاً قوله تعالى: {أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}[66].

وقد وضح طرق الأدلة:"...التي يدرك بها الحق والباطل خمسة أوجه:

1- كتاب الله. 2- سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. 3- إجماع الأمة. 4- ما استخرج من هذه النصوص وبني عليها بطريق القياس والاجتهاد. 5- حجج العقول.

قال تعالى: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[67]...وقال عزوجل في الأمر باتباع حجة العقل: { وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ }[68] وقال تعالى: { أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ . أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ}[69] وقال: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأولِي الأَلْبَابِ}[70]. وقال تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}[71]. { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ }[72].

فأمرنا بالاعتبار والاستبصار ورد الشيء إلى مثله أو الحكم له بحسب نظيره وهذا هو الحكم المعقول والتقاضي إلى أدلة العقول..." [73].

ويوضح البغدادي وجهة نظر المدرسة الأشعرية في الوقت الذي يجب فيه النظر وطريق وجوبه قائلا:"...وقت صحة الإيمان والمعرفة وقت كمال العقل ووقت وجوبهما عند اجتماع العقل والبلوغ ولا وجوب إلا من جهة الشرع..." [74].

ويؤكد إمام الحرمين أن الوجوب لا يعرف إلا عن طريق الشرع، ولهذا قال:"...والذي اتفق عليه أهل الحق: أنه لا يدرك وجوب واجب في حكم التكليف عقلا ومدارك موجبات التكليف الشرائع ولا نتوصل بقضية العقل قبل استقرار الشريعة إلى درك واجب ولا حظر ولا مباح ولا ندب..." [75].

ويذهب الإمام الرازي في نفس الاتجاه مؤكدا أن النظر واجب بالشرع ويرد على بعض الأشاعرة الذين ذهبوا إلى أنه واجب بالعقل؛ قائلا:"...وجوب النظر سمعي خلافا للمعتزلة، وبعض الفقهاء من الشافعية والحنفية" [76].

وقد استدل على ذلك بقوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا}[77] ؛ ولأن فائدة الوجوب: الثواب والعقاب، ولا يقبح من الله تعالى شيء من أفعاله، فلا يمكن القطع بالثواب والعقاب من جهة العقل فلا يمكن القطع بالوجوب..." [78].

ونستخلص مما سلف أن جمهور الأشاعرة قد ذهبوا إلى أن النظر واجب بالشرع.

✓ **وأما المسلك الثاني فهو عقلي:**

---

[65]- سورة ال عمران الآية: 191.
[66]- سورة الغاشية الآية 17.
[67]- [محمد: 24]
[68]- سورة الذاريات الآية 24.
[69]- سورة الواقعة الآية: 58-59.
[70]- سورة آل عمران الآية: 190.
[71]- سورة يس الآية: 78.
[72]- سورة الروم: الآية: 27.
[73]- سورة الروم: الآية: 27.
[74]- ينظر الإنصاف ص:21.
[75]- ينظر أصول الدين ص: 256-257 وينظر ص: 212.
[76]- ينظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص: 64.
[77]- [الإسراء: 15]
[78]- ينظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص: 64.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وهذا المسلك هو المعتمد عند أعلام المدرسة الاشعرية حيث قالوا: إن معرفة الله تعالى واجبة إجماعا وهي لا تتم الا بالنظر وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب والنظر أمر مقدور يتوقف عليه الواجب المطلق الذي هو المعرفة وكل مقدور يتوقف عليه الواجب المطلق فهو واجب[79]

قال امام الحرمين:"... فإذا ثبت الإجماع فيما قلناه وثبت بدلالات العقول ان العلوم المكتسبة يتوقف حصولها على النظر الصحيح وما ثبت وجوبه قطعا؛ فمن ضرورة ثبوت وجوبه وجوب ما لا يتوصل اليه الا به والذي يوضح ذلك: أنه ثبت في الشرع افتقار صحة الصلاة الى الطهارة ثم ورد بعد ذلك أمر بالصلاة صحيحة، فالأمر بها يتضمن الأمر بالطهارة..."[80].

ويعتمد الإمام الجويني في إيجاب النظر على الدليل العقلي والإجماع في حين يضعف الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة اذ يقدم العقل على النقل وذهب الى ان النصوص الشرعية ظواهر يتطرق اليها التأويل لا تفيد القطع واليقين[81].

وقد وافقه الإمام الايجي الذي يرى أن النصوص الشرعية لا تخرج عن كونها ظنية[82] .

وقال إمام الحرمين:"...وإنما لم نعتصم في إثبات وجوب النظر بظواهر الكتاب والسنة؛ لأن المقصد اثبات علم مقطوع به. والظواهر التي هي عرضة التأويلات لا يسوغ الاستدلال بها في القطعيات، ولكن لو استدللت بها، وقرنت استدلالك بها بإجماع الأمة على أنها غير مؤولة؛ بل هي محمولة على ظواهرها، فيحسن الاستدلال على هذا الوجه بظواهر الكتاب..."[83].

وذهب نفر من أعلام المدرسة الأشعرية إلى أن النظر واجب بالعقل تأثرا بالمعتزلة.

قال الإمام البغدادي:" وقال أبو العباس القلانسي ومن تبعه من أصحابنا بوجوب المعارف العقلية على العاقل من جهة العقل..." [84].

وإن الناظر للإجماع الذي حكاه أهل الكلام يجد أنهم لا يذكرون له مستندا، ويكتفون بنقل الإجماع، ويرون أنه هو المعتمد في هذه المسألة[85] ، لكن من تكلم على المسألة من غيرهم، يورد أدلة تصلح أن تكون مستندا لهذا الإجماع، ومن هذه الأدلة:

1- الآيات الكثيرة التي جاءت بالحث على التفكر والنظر في الكون، وما فيه من مخلوقات:

مثل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ}[86]

وقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}[87]

وقوله تعالى: {فَانْظُرْ إِلَى أَثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[88]

---

[79]- ينظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص: 11.
[80]- ينظر الشامل في أصول الدين ص: 120.
[81]- ينظر المواقف ص: 29.
[82]- ينظر المواقف ص: 29.
[83]- ينظر الشامل في أصول الدين ص: 120.
[84]- ينظر أصول الدين ص: 256.
[85]- ينظر الشامل ص: 120. والمواقف ص: 28-29.
[86]- سورة الروم الآية: 8.
[87]- سورة الأعراف: 184-185.
[88]- سورة الروم:50.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

قال تعالى: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[89]
قالوا: الأمر في هذه الآيات للوجوب[90] .
2-جاء في أحد روايات حديث معاذ[91] رضي الله عنه حين بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، أنه قال له: " فإذا عرفوا الله "[92] فقالوا: هذا دليل على وجوب المعرفة التي لا تتأتى إلا بالنظر[93] .

المناقشة:

هذا الإجماع الذي حكاه أهل الكلام، إجماع مدعى لا حقيقة له عند النظر والتدقيق، ويتبين ذلك في أمور عدة:

الأمر الأول: أن هذا الإجماع الذي حكاه أهل الكلام قوامه على أن معرفة الله نظرية لا يمكن الوصول إليها إلا بالنظر العقلي، وهذا الأمر الذي قرروه محل نظر، بل الصحيح أن معرفة الله تعالى والإقرار بوجوده –في الأصل – من الأمور الضرورية التي غرسها الله تعالى في فطر الناس وشهدت بها عقولهم، ولا يحتاج الإنسان التي سلمت فطرته من العوارض والآفات لمعرفة الله ، إلى نظر أو استدلال ، وقد دلت على ذلك النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، وجاء تأكيده من كلام السلف الصالح أصحاب القرون المفضلة :

فأما النصوص، فمنها على سبيل المثال: قول الحق تبارك وتعالى:

عن ابن زيد ومجاهد: أنهما قالا عن قوله: {فِطْرَتَ اللَّهِ}[94]: الإسلام [95].

ومنها: قول الرسول صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: " ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودان، أو ينصرانه، أو يمجسانه "[96] . والفطرة الواردة في الحديث، هي الفطرة الواردة في الآية[97] .

والحاصل أن المدرسة الاشعرية ذهبت الى أن وجوب النظر والاستدلال والتفكر طريقه الشرع وحده، لأنهم أنكروا التحسين والتقبيح العقليين وقالوا: بأن الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع.

وكما مر معنا سالفا فإيجاب النظر اعتمد على الدليل النقلي والعقلي إلا أن الدليل النقلي جاء ضعيفا إذ يعد عند المدرسة الاشعرية من الأدلة الظنية غير القطعية، وأنها ظواهر يتطرق إليها التأويل ويمكن القدح فيها بقوادح مختلفة، إذا فالمعتمد عندهم هو الدليل العقلي في إيجاب النظر على كل أحد وإجماع الأمة على أن معرفة الله واجبة ولا تحصل إلا بالنظر فهو مقدمة لها وما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب. ويؤكد الجويني هذا المعنى بقوله:" ... وذهب المحققون إلى أن أول واجب عليه: النظر والاستدلال المؤديان إلى معرفة الصانع ..."[98]

---

[89]- سورة يونس الآية: 101.
[90]- ينظر المواقف ص: 29.
[91]- معاذ رضي الله معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبوعبد الرحمن، مشهور من أعيان الصحابة، شهد بدراً وما بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، مات بالشام سنة ثماني عشرة، روى له الستة. انظر: التقريب535رقم (6725)، الإصابة136/6رقم (8043)، تذكرة الحفاظ19/1رقم (8).
[92]- أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة. ح1389. ومسلم في كتاب: الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ح19
[93]- ينظر فتح الباري 349/13.
[94]- سورة الروم الآية : 30 .
[95]- ينظر تفسير الطبري 97/20.
[96]- أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب {لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ } لدين الله. خلق الأولين دين الأولين والفطرة : الإسلام ح 4497. ومسلم في كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ح 2658.
[97]- ينظر درء التعارض 372/8.
[98]- ينظر الشامل في أصول الدين ص: 120.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وذلك لأن النظر يقع قبل المعرفة، وهو واجب اتفاقا، فأنى يستقيم مع ذلك المصير إلى أن أول الواجبات، المعرفة مع الاعتراف بأن قبلها واجبا.

ومن قال بأن أول واجب هو المعرفة اعتذر بإنكار وجوب النظر قبل المعرفة؛ ولكن المقصود من النظر هو المعرفة الله فعبر عن المقصود، "... وهذا كما أن القائل يصف الصلاة بالوجوب في مفتتح الوقت في حق المحدث، وإن كان المحدث لا يتوصل إلى إقامة الصلاة إلا بعد الوضوء.

والذي يوضح ذلك: أن الصائرين إلى أن أول واجب هو النظر المؤدي إلى العلم بالله، متجوزون؛ إذ النظر في العلم بالله، ينبني على ضروب من النظر ..." [99] .

هذا، وقد اختار إمام الحرمين الجويني في كتابه الإرشاد القول بأن أول واجب هو: القصد إلى النظر؛ ولهذا قال: " ... أول ما يجب على العاقل البالغ، باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعا، القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدث العالم ... " [100] .

ومع ذلك كله، فقد انتهى بعض الأشعرية إلى القول: بأن الخلاف هنا لفظي، كإمام الحرمين، والرازي، وسعد الدين التفتازاني[101].

يقول إمام الحرمين: " ... فاعلموا أن الكلام في هذا الفصل يؤول إلى العبارات، وفيها التنازع ...[102]

والمعرفة عندهم يقصد بها: الجزم المطابق في عقائد الإيمان بدليل أو برهان[103] . والنظر عندهم هو: الطريق الموصل إلى المعرفة أو الفكر الذي يطلب به علم أو غلبة ظن[104] ، والقصد إلى النظر: تفريغ القلب عن الشواغل[105] .

وقد جعل الفخر الرازي محررا هذا الخلاف من أقوال الأشعرية في هذا المسألة معتقدا أنه خلاف لفظي وجمع بين هذه الأقوال فذكر قائلا:"... منهم من قال: هو: المعرفة، ومنهم من قال: هو النظر المفيد للمعرفة، ومنهم من قال: هو القصد إلى هذا النظر، وهذا خلاف لفظي؛ لأنه إن كان المراد منه أول الواجبات المقصود بالقصد الأول، فلا شك أنه هو المعرفة عند من يجعلها مقدورة، والنظر عند من لا يجعل العلم مقدورا، وإن كان المراد أول الواجبات كيف كانت، فلا شك أنه القصد ..." [106].

وقال سعد الدين التفتازاني: " ... والحق أنه إن أريد أول الواجبات المقصودة بالذات فهو المعرفة، وإن أريد الأعم فهو القصد إلى النظر ... " [107] لكن مما يحسن التذكير به: أن لا يفهم مما سبق، أنه لا يجوز النظر والاستدلال لمعرفة الله مطلقا، وإنما كلامي في إيجابه على كل أحد، وإلا فلا مانع من النظر للتفكر والاعتبار، ولزيادة الإيمان

---

[99]- ينظر المصدر نفسه ص120-121.
[100]- ينظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص :3.
[101]- سعد الدين التفتازاني مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، ولد سنة 712 هـ، من أشهر كتبه في الكلام: (شرح العقائد النسفية) و(شرح المقاصد)، توفي سنة 792 هـ. انظر: الدرر الكامنة: 112/6، الأعلام: 219/7.
[102]- ينظر الشامل في أصول الدين ص: 122.
[103]- ينظر الحقائق في تعريفات مصطلحات علماء الكلام ص: 6.
[104]- ينظر المواقف 116/1.
[105]- ينظر هداية المريد ل22ب .
[106]- ينظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص: 65.
[107]- ينظر شرح المقاصد –النسخة المحققة – 272/1.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

واليقين ، وكذلك في حال من فسدت فطرته ، فاحتاج إلى ذلك ، وأما إيجابه على جميع المكلفين فهذا هو المقصود بالكلام هنا والله أعلم .

المطلب الثالث: مناهج وآليات البحث في المعرفة العقدية ومقاصد الخطاب عند أشاعرة المغرب:

قرر بعض الباحثين أن منهج الاستدلال العقدي عند أشاعرة المغرب على التحقيق هو منهج الجويني في "كتاب الإرشاد"، وأنه منهج تأويلي ذي التوجه السني الذي لا يثبت الصفات الإلهية على ظاهرها حتى لا يفيد التشبيه والتجسيم، فلا يكفر أهل القبلة من المسلمين، ولا يدعو إلى سفك دمائهم، وذكرت مدى أهمية تبني هذا المنهج في المراكز والمؤسسات العلمية المغربية، بالأخص على عقيدة المغاربة ومستقبلهم الحضاري واستقرارهم وتحقيق أمنهم الروحي والديني؛ وهذا هو منهج أبي الحسن الأشعري في تقرير المعرفة العقدية الإسلامية، وسأبرِزُ هنا نماذج من كتابات العلماء الأشاعرة المغاربة ومنهجهم الاستدلالي العقدي ومناهج أو آليات بحثهم وكذا مقاصد الخطاب عندهم، وكيف تأثروا بمنهج "كتاب الإرشاد" للجويني، ومدى تأثيرهم أيضا في الفكر الأشعري المغربي من خلال مؤلفاتهم التي تركوها والتي وصلت إلينا، وقد اخترت أهم هؤلاء العلماء الأشاعرة الذين أثروا في الفكر الأشعري المغربي لأتحدث عن منهجهم الاستدلالي العقدي الأشعري، فلا ما لا يدرك كله لا يترك جله، ومن هؤلاء الرموز أذكر:

– أبو بكر المرادي الحضرمي:

هو أبو بكر المرادي الحضرمي (ت 489هـ/1094م)، ولد بالقيروان وارتحل إلى الأندلس ثم انتقل بعد ذلك إلى أغمات حيث أُلحِقَ بحاشية أمير المرابطين أبي بكر بن عمر اللمتوني التي كانت تضم فقهاء وعلماء، "وكان المرادي أول من أدخل علوم الاعتقادات بالمغرب الأقصى" [108] وله مؤلف مطبوع، يعتبر أول مؤلف كامل عن العقيدة الأشعرية ألف في عهد الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر اللمتوني (ت580هـ/1184م)"، [109] ومن خلاله نستطيع أن نتعرف على المنهج الأشعري الذي دخل المغرب الأقصى في هذه الفترة، يقول جمال البختي: "إن نص "عقيدة المرادي" سيفتح أمام المختصين بابا واسعا لمراجعة الكثير من الأحكام والمواقف في خصوص تاريخ دخول المذهب الأشعري إلى المغرب، وتتبع مسار تطوره، فالمعطيات والمضامين –فضلا عن المنهج المعتمد- في هذه الوثيقة تدفع دفعا نحو تأكيد حقيقة جديدة مفادها أن الاطلاع التام على المذهب، والتأليف فيه (على طريقة البغدادي والجويني ومن جاء بعدهما) لم يكن متأخرا –كما كان يُعتقد- بل كان في فترات متقدمة ومتزامنة مع التطور الذي شهده البحث العقدي في المشرق". [110] و" بالنظر إلى التطور الذي عرفه المذهب الأشعري مضمونا ومنهجا يتبدى أن "عقيدة المرادي" توافق كثيرا المعطيات المتوفرة عن طبيعة القضايا وطريقة الاستدلال ومنهج البحث في الفكر الأشعري خلال النصف الثاني من القرن الرابع والنصف الأول من الخامس في الغرب الإسلامي وفي افريقية والأندلس"، [111] وهذه هي الفترة التي ساد فيها منهج الجويني في المشرق والمغرب.

– المنهج التأويلي عند المرادي:

[108]– التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط:2، س:1997، ص:106.

[109]– أحمد عبادي في تقديمه لكتاب عقيدة المرادي الحضرمي للبختي، دار الأمان للنشر والتوزيع، س ط:1433هـ/2012م ص:6.

[110]- جمال علال البختي، في تصديره للكتاب نفسه، ص:11.

[111]- المصدر نفسه، ص:139.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

1) **نفي التشبيه:** نجد المرادي في الكتاب يؤول الصفات الإلهية التي يوحي ظاهرها بالتشبيه، ويروم إلى عقيدة التنزيه، يقول المرادي: "وهو –سبحانه- لا يشبه خلقه؛ لأن المثلين ما ساد أحدهما مسدَّ صاحبه، وناب مَنابَهُ. فلو أشبهه لقامت صفات الحوادث به، ودلت على حدوثه. وقد قام الدليل على قدمه، قال تعالى: ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير))". [112]

2) **تنزيهه تعالى عن الجسمية:** يقول المرادي: "بعض الأئمة أثبت لله سبحانه صفات خمسا يقتضيها عندهم السمع، وهي: 1- الوجه 2-3- واليدان 4-5- والعينان

وقد نطق بأسمائها القرآن: فقال تعالى: ((تجري بأعيننا))، وقال: ((ولتصنع على عيني))، ونحن نقول: المراد بذلك البصر الذي أثبت الله تعالى بقوله: ((وأن الله سميع بصير)) وكذلك إفراده في آية وجمعه في آية أخرى تعظيما له.

وأما قوله لإبليس: ((ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)) فاليدان قد تكون صلة، فيرجع المعنى إلى النفس كما قال تعال: ((ذلك بما قدمت يداك)) معناه بما قدمتم، والعرب تضيف الأفعال إلى اليدين لما كانت تقع بها بينهم غالبا، ويجوز أن تكون بمعنى القدرة، وتُثنى وتُجمع تعظيما لها كما قال تعال: ((خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما))، فسمى القدرة يدا وجمعها تعظيما...

فأما الوجه فإنه يكون أيضا بمعنى النفس كما قال تعالى: ((إنما نطعمكم لوجه الله)). وقد أُجمع على أن الله سبحانه لا تثبت له صفة بألفاظ يسوغ منها الاجتهاد، فكان بذلك الذي قلنا أظهر". [113] وهذا خلاف بعض الفرق التي أثبتت الصفات على ظاهرها دون تأويلها.

تأويله الاستواء على العرش، يقول المرادي: "اعلم أنه لا يُسأل عن الله سبحانه بكيف، ولا بما، ولا بمتى، ولا بأين.

ومعنى استوائه على عرشه أنه أرفع قدرا من مخلوقاته، والمخلوقات كلها من دونه. والاستواء بمعنى العلو معروف في اللغة، ولا يجوز أن يكون العرش مكانا له؛ لأن المتمكن إنما يكون بقدر مكانه، والخالق سبحانه لا يُقاس بشيء من خلقه، لأنه ليس بجسم من الأجسام ولا جرم من الأجرام، فلا يوصف بالقصر والطول، ولا بالتمكن والحلول، ولا تكنُفه الجهات، ولا تحيط به المخلوقات؛ لأنه تعالى قد كان ولا مكان، ولم يتغير الآن عما كان". [114]

3) **إثبات الكلام النفسي:** يقول المرادي: "كلام الله سبحانه قديم قائم بذاته، وهو كلام واحد غير متعدد في نفسه، وهو أمر ونهي، وخبر عن مخبَراته، ولا مِثْل له من كلام خلقه...وهو خارج عن جميع اللغات ومتقدس عن الحروف والأصوات...والموصوف بالقدم هو الكلام القائم بذاته". [115] هو بمعنى الكلام النفسي الذي يقول به الأشاعرة، وهذا خلاف الذي يقول بقدم القرآن لفظا ومعنى. فالأصل عند المرادي هو تأويل المتشابهات حتى لا تؤثر في عقيدة الناس، إذ يقول: "واعلم أن الآي المتشابهة والأحاديث المشكلة يجب إخراجها عن ظواهرها وحملها على غير ذلك من محتملاتها، ويرجع ذلك إلى المقصود من معانيها...وتأويلها أولى؛ لئلا تُسرع إلى ظواهرها من

[112]- المصدر نفسه، ص:197.
[113]- المصدر نفسه، ص:234.
[114]- المصدر نفسه، ص:245.
[115]- المصدر نفسه، ص:227.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

التجسيم قلوبُ الجهال وألسنة أهل الضلال". [116] هذا هو اعتقاد أبي بكر المرادي في الله تعالى وهو على منهج أبي حسن الأشعري في الاستدلال.

– أبو الحجاج يوسف الضرير

هو أبو الحجاج يوسف بن موسى الملقب بالضرير (ت520هـ)، [117] "كان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية ونظَّارِ أهل السنة" [118] تتلمذ على أبي بكر المرادي الحضرمي، "وكان مختصا به" [119] يقول عنه القاضي عياض تلميذه: "قرأت عليه أرجوزته الصغرى التي ألف في الاعتقادات، وحدثني بالكبرى، وبكتاب التجريد لأبي بكر المرادي، وأجازني في أرجوزته الكبرى، وجميع تواليفه، ورواياته، منها تآليف الفقيه أبي بكر المرادي، شيخه، وعنه كان أكثر أخذه"[120] وقد خلَف الضريرُ أبا بكر المرادي في علوم الاعتقادات بعد وفاته [121] وله منظومة بعنوان "التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد" "وهذه مختصرة من كتاب الإرشاد لأبي المعالي (الجويني)"، [122] وهو دليل قاطع على أن منهج الضرير هو منهج "كتاب الإرشاد" للجويني الذي يقرر منهج أبي حسن الأشعري في العقيدة.

– المنهج العقلي التأويلي عند الضرير

لبيان ذلك نأخذ بعض الأبيات من منظومته "التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد":

1) قوله بالاستدلال العقلي:

فَخَيْرُ ما يُطْلَبُ بالدَّلِيلِ *** مَعْرِفَةُ الإلَـهِ والرَّسُـولِ

لِأَنَهَـا تَشْرُفُ بِـالمعْلُومِ *** وَالحَظّ عِنْدَ المِلِكِ القَيُّومِ

وَأَمَرَ اللهُ بِـالِاعْتِبَـــارِ *** وَبِالتَّفَكُّرِ وَالِاسْتِبْصَارِ

والمَيْزِ لِلْحَقِّ مِنَ الْأَدْيَانِ *** وَإِنَّمَـا يَمْتَازُ بِالْبُرْهَـــانِ [123]

2) قوله بوجوب النظر:

والنَّظَرُ اسْمٌ لِمَعَانٍ أَرْبَعَهْ *** تَضَمَّنَ الكِتَابُ ذَاكَ أَجْمَعَهْ

يَكُونُ لِلرُّؤْيَةِ بِالْأَبْصَـارِ *** وَلِلتَّـرَقُّبِ وَالِانْتِظَـــارِ

---

[116]- المصدر نفسه، ص:261.
[117]- كتاب الصلة لابن بشكوال، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري-القاهرة، دار الكتاب اللبناني-بيروت، ط:1، س ط:1410هـ/1989م، ج:3، ص:978.
[118]- الغنية للقاضي عياض، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط:1، س ط:1402هـ/1982م، ص:226.
[119]- كتاب الصلة لابن بشكوال، ج:3، ص:978.
[120]- الغنية للقاضي عياض، ص:226.
[121]- التشوف إلى رجال التصوف، ص:106.
[122]- السكوني شارح منظومة التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد، اللوحة الأولى من الشرح المخطوط، نقلا عن مقدمة محقق التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد لأبي الحجاج يوسف الضرير، تحقيق: سمير قوبيع-محمد العمراني-نور الدين شعيبي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-ا المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط:1، 1435هـ/2014م، ص:28.
[123]- أبو الحجاج يوسف الضرير، التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد، ص:48.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وَلِلْجَنَـــانِ وَلِلِاسْتِدْلَالِ *** وَهُوَ مَـا يُقْصَدُ بِالْمَقَـالِ [124]

3) طرق الاستدلال عنده تكون بالكتاب والسنة والإجماع والعقل:

وَيُسْتَدَلُّ بِالكِتَـابِ وَالسُّنَنْ *** وَحُجَّةُ الْإِجْمَاعِ وَالرَّأْيِ الْحَسَنْ

عَلَى الْقَضَايَا كُلِّهَا السَّمْعِيَّهْ *** وَبَعْضِ مَـا هُوَ مِنَ الْعَقْلِيَّهْ [125]

4) يقرر المبحث الطبيعي في مسألة حدوث العالم:

إِنَّ الدَّلِيلَ فِي حُدُوثِ العَالَمِ *** لِكُلِّ ذِي فَهْمٍ صَحِيحٍ سَالِمِ

حَرَكَـــةٌ يَعْقُبُهَـــا سُكُـونُ *** يُـــعْدَمُ هَذَا حِينَ ذَا يَكُونُ

وَلَهُمَـــا بِـالْجَوْهَرِ احْتِلَالُ *** وَكَوْنُهُ دُونَهُمَـــا مُحَـــالُ

فَلَمْ يَـكُنْ وُجُودُهُ قَبْلَهُمَـا *** فَكَانَ حَادِثاً إِذاً مِثْلَهُمَـا

وَسَـــائِرُ الْأَعْرَاضِ كَـالْأَلْوَانِ *** فِيمَـا فَرَضْنَاهُ مِنَ الْبُرْهَانِ [126]

5) عقيدة التنزيه:

وَيَسْتَحِيـــلُ أَنْ تَكُونَ ذَاتُـــهْ *** كَذَاتِ مَخْلُوقٍ كَـذَا صِفَـــاتُـــهْ

وَيَسْتَحِيـلُ الْكَوْنُ فِي مَكَـــانِ *** عَـــلَـــيْـهِ إِذْ لَيْسَ بِذِي أَكْـوَانِ

وَلَا لَـــهُ حَدٌّ وَلَا مِثَـــــالُ *** وَلَا تَـغَـــيُّـــــــرٌ وَلَا زَوَالُ

فَكُلُّ ذَاكَ مِنْ خَوَاصِ الْمُحْدَثَاتْ *** وَهُوَ تَعَالَى جَلَّ عَنْ هَذِي الصِّفَاتْ

وَوَصْفُـــــهُ فِي الْوَحْيِ بِـالْيَدَيْنِ *** وَالْوَجْـــهِ وَالنُّـــزُولِ وَالْـعَيْنَيْـنِ

وَالِاسْتِـــوَاءِ وَالْمَجِـيءِ لِـلْأُمَـــمْ *** وَأَنَّـــهُ يَضَعُ فِي النَّـــارِ الْقَدَمْ

لِلْكُلِّ تَـــأْوِيلٌ صَحِيحٌ فِي اللُّغَـهْ *** وَالْعَقْلِ فَـــاعْتَقِدْهُ حَتَّى تَبْلُغَـــهْ [127]

ثم يسترسل في ذكر الصفات وما ورد في الأخبار من المتشابهات فيؤولها إلى معانيها الحقيقية تأويلا لغويا وعقليا [128] بخلاف منهج بعض الفرق الأخرى في إثبات الصفات على ظاهرها، ولولا خشية الإطالة لأتيت بنماذج كثيرة

---

[124]- المصدر نفسه، ص:72-73.
[125]- المصدر نفسه، ص:78.
[126]- المصدر نفسه، ص:92.
[127]- المصدر نفسه، ص: 109-110.
[128]- المصدر نفسه، ص:111 وما بعدها.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

من هذا النوع الذي يوضح منهجية الضرير وتأثره بكتاب الإرشاد للجويني، ويكفي ذكر هذا فقط؛ لأن غايتي هو الاستشهاد فقط وليس دراسة كل فكر الضرير فليراجع في "كتاب التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد" فهو مطبوع.

– محمد بن تومرت

هو محمد بن عبد الله بن تومرت (ت 524هـ/1129م) مؤسس الدولة الموحدية، وهو الذي قام بترسيم المذهب الأشعري بالمغرب، وكان قبل ذلك قد "ارتحل في طلب العلم إلى المشرق على رأس المائة الخامسة"، [129] و"لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية...وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث"، [130] وبعد رجوعه إلى المغرب أخذ في نشر العقيدة الأشعرية على طريقة أهل التأويل، حيث حمل المغاربة "على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد"[131] "فأهل المغرب لم يكونوا قبل رجوع المهدي من المشرق يعتنقون مذهب الأشعري في العقيدة، وإن يكن بعض علمائهم حصل لهم علم بهذا المذهب"، [132] حيث أن السلطة الحاكمة في ذلك العهد كانت ترفض الخوض في علم الكلام، وكانوا يبالغون في إمرار النصوص على ظاهرها مما أوقع الناس في التجسيم، وكانوا رافضين لكل تأويل أو استدلال عقلي على حقائق العقيدة" [133] مما جعل ابن تومرت يفكر في تغيير تصور المغاربة في العقيدة لكي "تتحول من تصورات يشوبها التجسيم إلى تصورات تقوم على التوحيد المطلق الموجب لتنزيه الخالق عن كل شبه بالمخلوقات" [134] فقد "كان شغله الشاغل أن يقرب العقيدة القائمة على أساس من التنزيه والتأويل إلى أفهام العامة وأن يجعلها قوام تصورهم العقدي، وهو ما كان ينفق فيه شطرا كبيرا من جهده التربوي، وألف فيه عدة رسائل أهمها " **المرشدة** "، ليقيم التوحيد في الأذهان مقام التشبيه والتجسيم"، [135] وكان قد" بنى رابطة للعبادة اجتمعت إليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري"،[136] و"المرشدة هي رسالة صغيرة الحجم لا تتجاوز الصفحتين، فيها عرض موجز لمسائل العقيدة خال من البراهين، ولعلها أكثر مؤلفات المهدي انتشارا في المغرب والمشرق لأنها تعتبر خلاصة لفكره العقدي"، [137]و"قد شاع ذكرها بين الناس عامتهم وعلمائهم، وجرت بها الألسنة حفظا وشرحا، وصارت على مر الأيام الخلاصة للتصور العقدي الذي تجري به الأذهان ويلقن للناس"، [138] وقد سار ابن تومرت على نهج "كتاب الإرشاد" في الاستدلال على العقائد، وهذا بَيِّن من خلال كتبه ككتاب "المرشدة" وكتاب "أعز ما يطلب". وفي هذا الصدد يقول المقريزي: " ... واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رجالات المغرب إلى العراق وأخذ عن أبي حامد الغزالي مذهب الأشعري، فلما عاد إلى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفقههم ويعلمهم ووضع لهم عقيدة تلقفها عنه عامتهم ثم مات فخلفه بعد موته عبد المومن بن علي القيسي وتلقب بأمير المؤمنين وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعده، مدة سنين وتسموا بالموحدين تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت ... فكان هذا هو السبب في انتشار مذهب

[129]- تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، 1421هـ/2000م، ج:6، ص:301-302.
[130]- المصدر نفسه، ج:6، ص:302.
[131]- المصدر نفسه، ج:6، ص:302.
[132]- المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ط:1، س ط:1403هـ/1983م، ص:430.
[133]- عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي-فيرجينيا، ط:2، س ط:1415هـ/1995، ص:52.
[134]- المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ص:351.
[135]- المصدر نفسه، ص:359.
[136]- تاريخ ابن خلدون، ج:6، ص:303. روض القرطاس لابن أبي زرع، دار المنصور للطباعة والوراقة-الرباط، 1972، ص:177.
[137]- المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ص:150.
[138]- المصدر نفسه، ص:447.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

الأشعري وانتشاره في أمصار الإسلام، بحيث نسي غيره من المذاهب وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه.... ".[139]

وقد اشتهر أئمة المذهب الأشعري باسم "الصفاتية" وهذا المصطلح سيصبح فيما بعد علما على حركة الأشاعرة الذين حملوا لواء هذا الفكر، بعد انحياز الإمام الأشعري إلى طائفة أهل السنة والجماعة على قاعدة كلامية، فأيد مقالاتهم بمناهج كلامية، وصار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة، كما أصبح حلقة ذهبية تصل الخلف بالسلف.[140]

– المنهج العقلي والتأويلي عند ابن تومرت:

1) **وجوب النظر:** يرى ابن تومرت أن الله يُعرف بضرورة العقل وذلك أن العقلاء "استقر في نفوسهم أن الفعل لابد له من فاعل، وأن الفاعل ليس في وجوده شك، ولذلك نبه الله تبارك وتعالى في كتابه فقال: ((أفي الله شك فاطر السموات والأرض)) أخبر تعالى أن فاطر السموات والأرض ليس في وجوده شك، وما انتفى عنه الشك، وجب كونه معلوما، فثبت بهذا أن الباري سبحانه يُعلم بضرورة العقل"، [141] ومعنى الضرورة عنده، يقول:"والضرورة ما لا يتطرق إليه الشك، ولا يمكن العاقل دفعه. وهذه الضرورة على ثلاثة أقسام: واجب، وجائز، ومستحيل، فالواجب ما لابد من كونه، كافتقار الفعل إلى الفاعل، والجائز ما يمكن أن يكون، ويمكن ألا يكون، كنزول المطر، والمستحيل ما لا يمكن كونه، كالجمع بين الضدين، وهذه الضرورة مستقلة في نفوس العقلاء بأجمعهم" [142]

2) **المبحث الطبيعي في الاستدلال العقدي:** وذلك بذكر الأفلاك والأجسام والجواهر والأعراض والحركة والسكون والطبع والعادة والتغير والزيادة والنقصان والحيوانات والجمادات والآثار الطبيعية والألوان المختلفة،[143] وهذا النوع من الاستدلال ينتمي إلى منهج "كتاب الإرشاد" في الاستدلال على العقائد، وهو منهج "كتاب اللمع" أيضا بعد التطوير.

واستدل بنظرية الجوهر الفرد على الحدوث كقوله: "وجميع المحدثات وإن كثرت أعدادها، واختلفت أجناسها على ضربين: تغير، ومتغير، فالتغيرات هي الأعراض، والمتغيرات هي الأجرام.

والأجرام على ضربين: منفرد ومتألف، فالمنفرد هو الجزء الفرد الذي لا يجوز عليه التجزيء والانقسام، المتغير بالأعراض المتعاقبة، والأحوال المتلازمة"، [144] وهذه هي **نظرية الجوهر** الفرد عند الأشاعرة، وهذا المبحث الطبيعي قد تناوله أبو الحسن الأشعري، حيث قال: "اعلموا أرشدكم الله أن مما أجمعوا -رحمة الله عليهم- على اعتقاده مما دعاهم النبي (صلى الله عليه وسلم) إليه، ونبههم بما ذكرناه على صحته أن العالم بما فيه من أجسامه وأعراضه محدث لم يكن ثم كان، وأن لجميعه محدِثا واحدا، اخترع أجناسه، وأحدث جواهره وأعراضه، وخالف بين أجناسه". [145]

---

[139]- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، ج 2 ص:358، تأليف تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية.

[140]- الملل والنحل، للشهرستاني، ج1ص:93.

[141]- أعز ما يطلب، محمد بن تومرت، تحقيق: عمار طالبي، وزارة الثقافة الجزائرية-الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص: 214.

[142]- المصدر نفسه، ص: 214.

[143]- المصدر نفسه، ص: 195 وما بعدها.

[144]- المصدر نفسه، ص: 195-196.

[145]- رسالة إلى أهل الثغر، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر الجنيدي، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1988، ص: 209.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

3) عقيدة التنزيه: كان ابن تومرت في استدلاله العقدي على منهج التأويل لكتاب "اللمع" الذي استفاده من الجويني والغزالي، ومن أمثلة على منهج التأويل، يقول في تنزيهه لله تعالى: "والخالق سبحانه هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، الأول من غير بداية، والآخر من غير نهاية، والظاهر من غير تحديد، والباطن من غير تخصيص، موجود على الإطلاق من غير تشبيه ولا تكييف...ليس له مثل يقاس عليه، هو كما قال تعالى: ((ليس كمثله شئ وهو السميع البصير)) لا يلحقه الوهم، ولا يكيِّفه العقل"،"عرفه العارفون بأفعاله، ونفوا التكييف عن جلاله لما يؤدي إليه من التجسيم والتعطيل".[146] ويقول: "لا إله إلا الذي دلت عليه الموجودات، وشهدت عليه المخلوقات، بأنه جل وعلا وجب له الوجود على الإطلاق، عن غير تقييد، ولا تخصيص بزمان، ولا مكان، ولا جهة، ولا حد، ولا جنس ولا صورة ولا شكل ولا مقدار، ولا هيئة، ولا حال. أول لا يتقيد بالقبلة، آخر لا يتقيد بالبعدية، أحد لا يتقيد بالأينية، صمد لا يتقيد بالكيفية، عزيز لا يتقيد بالمثلية، لا تحده الأذهان، ولا تصوره الأوهام، ولا تلحقه الأفكار، ولا تكيفه العقول، لا يتصف بالتحيز والانتقال، ولا يتصف بالتغير والزوال، ولا يتصف بالجهل والاضطرار، ولا يتصف بالعجز والافتقار، له العظمة والجلال، وله العزة والكمال، وله العلم والاختيار، وله الملك والاقتدار، وله الحياة والبقاء، وله الأسماء الحسنى". [147] هذا بعض ما جاء من كلام ابن تومرت ونموذج من استدلالاته العقدية، ولست أريد التطويل حتى لا أخل بهذا البحث وأكتفي بما أريد بيانه من منهج ابن تومرت في استدلاله على العقيدة؛ ما دام أن غرضي هو معرفة منهج الاستدلال العقدي عند أشاعرة المغرب.

– عثمان السلالجي

هو أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلالجي (ت564هـ) [148] يقول عنه التادلي عند ترجمته في كتاب التشوف: "إمام أهل المغرب في علم الاعتقاد...لقي أبا الحسن علي بن أحمد اللخمي المعروف بابن الاشبيلي وكان له بصر وخبرة بكتاب الإرشاد، فلازمه مدة يسيرة حصل له فيها فهم الإرشاد وفتح عليه كل ما انغلق عليه من معانيه، فعاد إلى فاس فزهد في الدنيا وأهلها وانتصب لتعليم العلم محتسبا إلى أن لحق بالله تعالى"، [149] ويحكي التادلي عن السلالجي قوله في كيفية اطلاعه على كتاب الإرشاد، يقول السلالجي: "لقيت فتى من أصحابي، فبت عنده وكان الفتى بطالا [وأبوه] من طلبة العلم، فجعلت أنظر في كتبه، فوقع بيدي من علوم الاعتقاد **التقريب والإرشاد** فأعجبني وقال لي صاحبهما: هذا الإرشاد هو المدخل إلى هذا العلم، ثم حملته إلى ابن حرزهم وابن الرمالة واستشرتهما في قراءته فاستحسناه وأشارا علي بالنظر فيه، فقلت لابن حرزهم: أتأذن لي في قراءته عليك؟ فقال لي: لا أجيده، فإن قنعت مني بتعليم ما أعلمه فانظره. فأخذته عليه"، [150] وهذه الرواية نفهم منها اقبال صوفية المغرب الأشاعرة على منهج الجويني في الاستدلال على العقائد الإيمانية، فهذا ابن حرزهم من شيوخ الصوفية الكبار بالمغرب ومن المرجعيات الكبرى في تصوف المغاربة كان أشعريا على طريقة الجويني، وعلى منهج كتاب "اللمع".

كان السلالجي في مرحلة طلب العلم مفتتنا بكتاب الإرشاد، حتى أن "العلم الذي كان يطلبه وملأ الاهتمامُ به شِغافَ قلبه هو علم الاعتقاد في كتاب "الإرشاد" ... فهو بعد رجوعه إلى فاس من بجاية سالما بجلده، فارغَ اليد مما رحل إليه؛ طلبه بعضُ الرؤساء لتعليم أولاده وحمَلَه معه إلى مراكش حيث لقي الشيخ أبا الحسن اللخمي المعروف بابن الإشبيلي وكان ذا بصيرة في كتاب "الإرشاد" فلازمَه مدة حصلَ له فيها فهم ذلك الكتاب وفُتح عليه

[146]- المصدر نفسه، ص: 217.
[147]- المصدر نفسه، ص: 225.
[148]- التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط:2، س:1997، ص:198.
[149]- المصدر نفسه، ص:198-200.
[150]- المصدر نفسه، ص:198-199.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

كل ما أُغلق من معانيه". [151] يقول يوسف احنانة عن أبي عمرو السلالجي: "المفكر الأشعري المغربي الذي رفع بعض المؤرخين درجته في علم الكلام بالغرب الإسلامي إلى درجة أبي المعالي الجويني في المشرق، وذلك لاطلاعه الواسع بأمور علم الكلام الأشعري من جهة، ولدوره الكبير في بث ونشر المذهب الأشعري بالمغرب، حتى قيل عنه إنه هو الذي أنقذ أهل فاس من التجسيم". [152] توجد للسلالجي رسالة تسمى بـ"العقيدة البرهانية" المشهورة بالسلالجية (وهي) على صغر حجمها مختصر "الإرشاد" [153] "فقد كان لحجمها الصغير ودقة عباراتها، دور فعال في إقبال المغاربة عليها بكل أصنافهم وفئاتهم وأعمارهم وتخصصاتهم، فالتفوا حولها وقاموا بحفظها وتعلمها وشرحها كل حسب طاقته وإمكانياته"،[154] فقد "لقيت قبولا تلقائيا من طرف المغاربة، لكونها-على وجازتها واختزالها- تعطي تصورا عاما ودقيقا عن أصول وأركان العقيدة، بحيث يخرج قارئها بنظرة وافية عما يجب أن يعتقده في حق الله [تعالى] وصفاته ورسله والأخبار الغيبية المرتبطة بالرسالة".[155] سار السلالجي في هذه الرسالة التي كتبها على منهج التأويل، يقول عبد الله كنون: "إن ما حصل به الشيخ على الشهرة الواسعة وأبقى له الذكر الحسن في الناس، هو هذه المقدمة العقدية التي شهرت "بالبرهانية" واقترنت بذكر جهاده في بث عقيدة أهل التأويل"، [156] على طريقة الجويني في "كتاب الإرشاد" وهو نفسه منهج "كتاب اللمع" كما ذكرت سابقا، و"إن منهجه فيها، وتقسيمه لموضوعاتها ينبئ عن اطلاع واسع وخبرة كبيرة بمباحث العقيدة وبمسائل علم الكلام، لهذا اندفع الشراح إلى العناية بها وأسهب المتكلمون المغاربة في توضيح فصولها وبسط قضاياها"، [157] وشروح البرهانية جلها مفقود.[158]

– منهج التأويل عند السلالجي

يقول السلالجي منزها الله تعالى عن مشابهته الحوادث: "والدليل على أنه تعالى مخالف للحوادث: هو أن المثلين: كل موجودين متساويين في جميع صفات النفس، والرب تعالى مقدس عن جميع سمات الجواهر والأعراض، فوجب أن يكون مخالفا لها؛ وذلك أن الجوهر حقيقته: المتحيِّز، والمتحيِّز يجوز عليه الاختصاص ببعض الجهات والمحاذيات، وذلك يدل على حدوثه، والموصوف بالقدم لا يتصف بما يدل على حدوثه"، [159] فهذه المنهجية العقلية في الاستدلال لا تتفق مع منهج "كتاب الإبانة" مما يفيد في أن السلالجي كان يسير على منهج الجويني في الإرشاد لهذا وللأدلة التي ذكرتها من قبل.

– ابن خمير السبتي

هو أبو الحسن علي بن أحمد السبتي المعروف بابن خمير الأموي السبتي (ت614هـ/1217م)، له كتاب "مقدمات المراشد" محقق مطبوع، وقد كان أيضا على منهج "كتاب الإرشاد" وعلى طريقة "كتاب اللمع" في الاستدلال العقدي كحال جميع المغاربة، ومما يؤكد أن المنهج الأشعري المغربي هو منهج "كتاب اللمع" قول

[151]- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، عبد الله كنون، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط:1، س ط: 2010، ج:1، ص:254-255.
[152]- تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، يوسف احنانا، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003، ص:112.
[153]- ذكريات مشاهير المغرب، ج:1، ص: 263.
[154]- جمال البخيتي، عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية، جمال علال البخيتي،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط:1، س ط: 2005، ص:184.
[155]- المصدر نفسه، ص:197.
[156]- ذكريات مشاهير المغرب، ج:1، ص: 263.
[157]- عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية، ص:201.
[158]- المصدر نفسه، ص:181.
[159]- العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية للسلالجي، شرح العقباني، تحقيق: نزار حمادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط:1، س ط:1429هـ/2008م، ص:25-26.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

ابن خمير السبتي في مقدمة كتابه **"مقدمات المراشد"** يرد فيه على من يُفتَرَض أنه سيُسأل عن سبب إقدامه على تأليف هذا الكتاب وقد سبقه من هو أعلم منه، يقول ابن خمير: "فإن قيل: وكيف تستتب لك هذه الدعوى وقد تقدمك إليها فحول العلماء ورؤساء الطريقة كالشيخ أبي الحسن في "لمعه"..."، [160] فدل هذا أنه كان على المنهج الحقيقي لأبي الحسن الأشعري لذكره ابن خمير ولما ذكر "اللمع"، فهذا نص واضح يزكي هذا الموضوع المخصص للفكر الأشعري المغربي ؛ حيث يؤكد هذا النص أن المنهج الاستدلالي العقدي عند أشاعرة المغرب هو منهج "اللمع"، وأنه المنهج الحقيقي الذي مات عليه أبو الحسن الأشعري، وقد سار ابن خمير السبتي في كتابه "مقدمات المراشد" على هذا المنهج.

– المنهج العقلي التأويلي وذم التقليد عند ابن خمير السبتي:

1) **وجوب النظر:** يرى ابن خمير وجوب النظر والاستدلال على العقائد ويذم التقليد مطلقا، يقول: "**العلم** بالله تعالى واجب بالإجماع، و**التقليد** ترك العلم، وترك الواجب حرام، **فالتقليد حرام**، والحرام مذموم بالشرع، فالتقليد مذموم" و" أجمعت الأمة على أن العلم بالله تعالى واجب، وهو لا يحصل إلا بالنظر والاستدلال، وما لا يصح الواجب إلا به فهو واجب". ويستدل على حدوث العالم انطلاقا من الحكم العقلي باعتبار العلم بالجواز، وهو قطب العقل،[161] كما ذكر، ثم يسترسل في وصف ظواهر الطبيعة، وهذا المنهج هو منهج أبي الحسن الأشعري.

2) **عقيدة التنزيه:** في كتابه "مقدمات المراشد" يعمل بمنهج التأويل لتنزيه الله تعالى عن الحوادث ونفي التشبيه عنه تعالى، يقول: "فهذه جملة العالم بأسره من العرش إلى الفرش يشهد بنفي التشبيه بينه وبين خالقه"، ورد على المشبهة في آيات وأحاديث ركنوا إلى ظاهرها كآية الاستواء، وآية المجئ، وآية الساق، واليد، والعين، والأعين، والجنب، وكذلك حديث النزول، وحديث القدم، والرجل، والضحك، والفرح...إلى غير ذلك، بالمنهج العقلي التأويلي،[162] ويؤول اليد واليدين والأيدي بالقدرة البالغة، والأعين بالحفظ، والوجه بالطاعة والانقياد، وغير ذلك من الصفات، ويقول: "وجملة الأمر أن كل صفة لا يثبت للباري تعالى بإثباتها كمال، ولا ينتفي عنه بنفيها نقص، ولا تفتقر إليها الأفعال، ولا يقوم على إثباتها دليل من العقل، ولا نص قاطع من النقل، فقد انسد الطريق إلى إثباتها". [163]

3) **إثبات الكلام النفسي:** ويثبت أيضا الكلام النفسي لله ويرد على المجسمة الذين يرون كلام الله عبارة عن حروف وأصوات،[164] ويقول: "فصح أن الكلام الحقيقي لنا هو كلام النفس بشهادة العقل والنقل، وما سواه من الأصوات والرموز والإشارة والكتابة...وغير ذلك من الأمارات إنما هو عبارة عن الكلام لا نفس الكلام".

4) إثبات الكسب: أثبت ابن خمير الكسب، وهو النظرية التي جاء بها الأشعري في "كتاب اللمع"، وأطال الأشعري النفس فيها وبسطها تبسيطا، وابن خمير أيضا أطال فيها الكلام ورد على من يخالف الأشاعرة في هذه المسألة[165]

---

[160]- ابن خمير السبتي، مقدمات المراشد، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح-توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط:1، س ط:1429هـ/2008م، ص:21.
[161]- المصدر نفسه، ص: 63. ص: 66 وما بعدها.
[162]- المصدر نفسه، ص: 103 وما بعدها.
[163]- المصدر نفسه، ص: 141-143.
[164]- المصدر نفسه، ص:151 وما بعدها.
[165]- المصدر نفسه، ص:178.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

– المكلاتي

هو أبو الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي (ت626هـ/1237م) أشعري على التحقيق بخلاف من يرى أنه كان ينتمي إلى طائفة الفلاسفة، فهذا بعيد جدا، فنصوصه التي أوردها في كتابه "لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول" تبين ذلك، فهو يسير فيه على منهج الأشاعرة المتأخرين، ويستدل بآرائهم، ومما يدل على أشعريته ترضيه عن أبي الحسن الأشعري، وموافقته الأشاعرة في كل آرائهم، كما نجد في كلامه هنا، حيث يقول: "وقد تردد جواب أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه في ذلك..."،[166] ويقول: "وإلى هذا ذهب أبو حامد وجماعة من الأشعرية، وهذا المختار عندنا"، [167] وكذلك في إثباته لله الكلام النفسي إذ يقول: "وأنه تكلم بكلام قديم أزلي، لا مفتتح لوجوده...هو القول القائم بالنفس...فخرج لك من ذلك ثبوت كلام قائم بالنفس"،[168] والأشاعرة هم من يقولون بالكلام النفسي.

– ملاحظات في كتاب "لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول"

كان المكلاتي متأثرا بمنهج "كتاب الإرشاد" للجويني كغيره من أشاعرة المغرب، فهو يرد على الفلاسفة في كتابه "لباب العقول" انطلاقا من "كتاب الإرشاد" للجويني، وأحيانا ينقل بعض العبارات كما هي في "كتاب الإرشاد"، دون أن يتصرف فيها، كقوله: "وذهب الجبائي وابنه إلى أن المعنى بكونه سميعا بصيرا أنه حي لا آفة به"،[169] والكلام نفسه في "كتاب الإرشاد"، يقول الجويني: "وذهب الجبائي وابنه إلى أن المعنى بكونه سميعا بصيرا أنه حي لا آفة به"، [170] ويقول المكلاتي: " وأطبق المنتمون إلى الإسلام على إثبات الكلام، ولم يصر صائر إلى نفيه، ولم ينتحل أحد في كونه متكلما نحلة نفاة الصفات في كونه عالما قادرا حيا" [171] وفي "كتاب الإرشاد": "وأطبق المنتمون إلى الإسلام على إثبات الكلام، ولم يصر صائر إلى نفيه، ولم ينتحل أحد في كونه متكلما نحلة نفاة الصفات في كونه عالما قادرا حيا" [172] ويقول المكلاتي في كتابه "لباب العقول" في نص كامل مجتزأ كما هو من "كتاب الإرشاد": "ثم ذهب المعتزلة، والخوارج، والزيدية، والإمامية، ومن عداهم من أهل الأهواء إلى أن كلام الله تعالى عن قول الزائغين حادث مفتتح وجوده. وصار صائرون من هؤلاء إلى الامتناع عن تسميته مخلوقا، لما في لفظ المخلوق من إيهام الخلق، إذ الكلام المختلق، هو الذي ينوبه المتكلم تخرصا من غير أصل. وأطلق معظم المعتزلة لفظ المخلوق على كلام الباري تعالى، وذهبت الكرامية إلى أن الكلام قديم، والقول حادث والقرآن قول الله تعالى، وليس بكلام الله تعالى. وكلام الله تعالى عندهم القدرة على التكلم. وقوله حادث قائم بذاته تعالى الله عن قول المبطلين وهو غير قائل بالقول القائم به، وإنما هو قائل بالقائلية" [173] وفي "كتاب الإرشاد" يقول الجويني: "ثم ذهب المعتزلة، والخوارج، والزيدية، والإمامية، ومن عداهم من أهل الأهواء إلى أن كلام الباري تعالى عن قول الزائغين حادث مفتتح الوجود. وصار صائرون من هؤلاء إلى الامتناع من تسميته مخلوقا، مع القطع بحدثه لما في لفظ المخلوق من إيهام الخلق، إذ الكلام المخلوق، هو الذي يبديه المتكلم تخرصا من غير أصل. وأطلق معظم المعتزلة لفظ المخلوق على كلام الله تعالى، وذهبت الكرامية إلى أن كلام الله قديم، والقول حادث غير محدث والقرآن قول الله،

166- لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، أبو الحجاج يوسف المكلاتي، تحقيق: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط:1، س ط:1977، ص:213.
167- المصدر نفسه، ص: 213-214.
168- المصدر نفسه، ص: 255-260.
169- المصدر نفسه، ص: 213.
170- كتاب الإرشاد، الجويني، مطبعة السعادة، مصر، س ط:1369هـ/1950م، ص: 72.
171- المصدر نفسه، ص: 255.
172- المصدر نفسه، ص: 99.
173- لباب العقول، المكلاتي، ص: 255-256.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334) 15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وليس بكلام الله. وكلام الله عندهم القدرة على الكلام. وقوله حادث قائم بذاته تعالى عن قول المبطلين؛ وهو غير قائل بالقول القائم به، بل قائل بالقائلية"،[174] فهذه فقط بعض المختارات من الكتابين أبين من خلالها استفادة المكلاتي من "كتاب الإرشاد"، مما يزيدنا تأكيدا أن أشاعرة المغرب تأثروا بكتاب "الإرشاد" للجويني وساروا على نهجه وهو نفس اتجاه "كتاب اللمع" لأبي الحسن الأشعري كما قرره كثير من الباحثين.

– منهج التأويل عند المكلاتي

عقيدة التنزيه: ينفي المكلاتي عن الله الجهة والزمان، واستحالة ذلك على الله، يقول: "مذهب أهل الحق، أن الباري تعالى وتقدس يستحيل عليه التخصص بالجهات، كما يستحيل عليه التغير بالزمان". [175] تأويله آية ((الرحمن على العرش استوى)) وأن الاستواء تارة يعني القهر والغلبة وتارة يكون بمعنى الاستيلاء، يقول: "فالعرش في كلام العرب لفظ مشترك، تارة يطلق ويراد به السرير وتارة يطلق ويراد به الملك.

فإن قلناه على السرير؛ قلنا فيه تأويلان:

أحدهما: حمل الاستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة...والتأويل الثاني: حمل الاستواء على قصد الإله الرائد في العرش... وإن حملنا العرش على الملك، فيكون الاستواء بمعنى الاستيلاء وذلك أمر مشهور في كلام العرب". [176] هذه بعض ما اخترته من النصوص أبين من خلالها منهج المكلاتي في العقائد الإيمانية، وما يهمني هو الوقوف على حقيقة منهجه وليس عرض نصوصه وهي كثيرة.

– عبد الواحد بن عاشر

هو "أبو مالك عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري الأندلسي الأصل الفاسي المولد والقرار الفقيه الأصولي المتكلم...له تآليف منها المنظومة المسماة بالمرشد المعين رزق فيها القبول...توفي في ذي الحجة سنة 1040 هـ " [177] ومنظومته المشهورة يحفظها طلبة العلم الشرعي في الكتاتيب القرآنية ويدرسونها في المدارس العتيقة، هذه المنظومة التي استفاد منها المسؤولون في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والمشرفون على اصلاح الحقل الديني قاعدة ما يعرف عندهم بالثوابت الدينية عند المغاربة، وهي العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي والتصوف السني، نجد تلك الصلة الوثيقة بين العقيدة الأشعرية السنية، وطريقة الإمام الجنيد -رحمه الله- في تقويم السلوك، والفقه المالكي عموما. وهذه المنظومة المتكاملة: العقيدة والتصوف والمعاملات، هي قوام الإسلام وأساسه، وهي كلها تصدر عن الشرع الحكيم المتمثل في الوحي المنزل: القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة. أخذوها من قوله:

في عَقْدِ الأشْعَرِي وفِقْهِ مالِكِ *** وفي طَرِيقَةِ الجُنَيْدِ السَّالِكِ [178]

ومنهجه في المنظومة له علاقة وطيدة بالفكر الأشعري المغربي قديما وحديثا، وأستعرض منها بعض الأبيات مع شرحها من كتاب "الدر الثمين والمورد المعين" لمحمد بن أحمد بن محمد الفاسي الشهير بـ" ميارة" وهو

[174]- كتاب الإرشاد، الجويني، ص: 100-101.
[175]- لباب العقول، المكلاتي، ص: 173.
[176]- المصدر نفسه، ص:176-177.
[177]- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية-القاهرة، 1349، ص:299-300.
[178]- الدر الثمين، محمد بن أحمد بن محمد الفاسي الشهير بميارة، دار الفكر، ط:1، 1429هـ/2008م، ص:13.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

شرح على منظومة ابن عاشر، لبيان أنه سواء الناظم أو الشراح كلهم ساروا على منهج "كتاب الإرشاد" للجويني وعلى طريقة "كتاب اللمع" للأشعري.

1) **الحكم العقلي:** يبتدئ ابن عاشر مقدمته لكتاب الاعتقاد في منظومته بذكر الحكم العقلي مما يفيد أن منهجه في الاستدلال على العقائد بمنهج عقلي، يقول ابن عاشر:

وَحُكمُنا العَقليُّ قَضِيَّةٌ بِلَا *** وَقْفٍ على عادةٍ أو وَضْعٍ جَلَا

أَقسامُ مُقتَضاهُ بالحَصْرِ تُمازْ *** وهي الوُجوبُ الاستِحالَةُ الجَوازْ

الشرح: "ودليل الحصر في الثلاثة...هو أن كل ما يحكم به العقل، إما أن يقبل الثبوت والانتفاء معا أو يقبل الثبوت فقط أو الانتفاء فقط؛ فالأول هو الجائز ويسمى الممكن أيضا. والثاني الواجب. والثالث المستحيل".

2) وجوب النظر: يوجب ابن عاشر استعمال النظر في الاستدلال العقدي، يقول ابن عاشر:

أَوَّلُ واجِبٍ على مَن كُلِّفَا *** مُمَكَّناً مِن نَظَرٍ أن يَعرِفَا

الشرح: "والمعرفة الواجبة في الجزم المطابق عن دليل فخرج بالجزم من كان إيمانه عن ظن أو شك أو وهم فإيمانه باطل بإجماع. وخرج بوصفه بالمطابق الجزم غير المطابق ويسمى الاعتقاد الفاسد والجهل المركب كاعتقاد الكافرين التجسيم أو التثليث أو نحو ذلك". [179]

3) عقيدة التنزيه: يقول ابن عاشر:

وَخُلْفُهُ لِخَلْقِهِ بِلَا مِثالْ *** وَوَحْدَةُ الذّاتِ وَوَصْفٍ والفِعالْ

الشرح: " (مخالفته تعالى للحوادث) لا يماثله تعالى شيء من الحوادث لا في ذاته تعالى ولا في صفاته ولا في أفعاله. قال تعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)". [180] فهذا هو فكر ابن عاشر ومنهجه العقدي، وهو الذي حفظه طلبة العلم المغاربة منذ زمن وبنوا عليه ثوابتهم الدينية؛ والذي قرر منهجه الأشعري في كتبه وعلى رأسها "كتاب اللمع".

هذا جملة القول في المنهج الاستدلالي العقدي عند أشاعرة المغرب.

المطلب الرابع: مقاصد الخطاب للمعرفة العقـديــة في المدرسة الأشعرية بالغرب الإسلامي:

لقد استطاع الإمام أبو الحسن الأشعري بمنهجه الوسطي الذي استعمله في الدفاع عن عقائد أهل السنة والجماعة أن يتدرج بمفكري هذه العقائد من مستوى النظرة الضيقة للنصوص العقدية أو القراءة الحرفية لتلك النصوص والتي تنتهي حتما إلى إقرار عقيدة التشبيه والتجسيم المرفوضة إسلاميا؛ إلى مستوى سامي من التفكير العقلاني الذي يحقق التنزيه المطلق. وعلى منهجه سار أشاعرة الغرب الإسلامي.

[179]- المصدر نفسه، ص:18.
[180]- المصدر نفسه، ص:24-25.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

ولقد قام أئمة المذهب الأشعري بدور بارز في التأسيس للفكر السني العقلاني الذي كان يقوم بمهمتين أساسيتين:

- الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة بأسلحة من الأدلة العقلية والمنطقية، ومناظرة مختلف التيارات الكلامية التي استعملت نفس الأدوات.
- التدليل على قضايا أصول الدين في أسلوب يحقق مبدأ الإتباع والانتفاع في نطاق التأويل التفصيلي للنصوص الشرعية الموهمة للتشبيه.

مقاصد علم التوحيد حسب المذهب الأشعري:

أما مقاصد علم التوحيد على الطريقة الأشعرية فيمكن إجمالها في الآتي:

- الترقي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان، إذ من شروط المعرفة العقدية: الجزم، والمطابقة للواقع، وكونها ناشئة عن دليل.
- القيام بفرض مجمع عليه وهو معرفة الله تعالى بصفاته الواجب ثبوتها له مع تنزيهه عما يستحيل اتصافه به، والتصديق برسله على وجه اليقين الذي تطمئن به النفس اعتمادا على الدليل لا استرسالا مع التقليد.
- إرشاد المسترشدين بإيضاح الطريق والمحجة، وإلزام المعاندين بإقامة الدليل والحجة.
- حفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين.
- أن هذا العلم الشريف يبنى عليه العلوم الشرعية فإنه أساسها ومرجعها.
- تصحيح النية والاعتقاد. إذ به يرجى قبول العمل وغاية ذلك كله الفوز بسعادة الدارين. [181]
- أن العلوم الشرعية كلها مفترقة إليه، ومتوقفة في تحققها عليه.[182]وقد سمي هذا العلم الشريف بأصول الدين لأن الدين ينبني عليه، "فإن التعبد فرع وجود الإيمان، حتى إن مضمونه من معرفة الله تعالى هو المقصود بالذات، على التحقيق.[183]

خاتمة:

بعد هذا العرض المقتضب لآليات البحث ومقاصد الخطاب للمعرفة العقـدية في المدرسة الأشعرية بالغرب الإسلامي - من خلال جهود علماء الغرب الإسلامي - أخلص إلى النتائج الآتية:

---

[181]- أنظر: المواقف في علم الكلام للإيجي ص: 8. / شرح جوهرة التوحيد للباجوري، ص: 45/ رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، ص:79.

[182]- الإسعاد في شرح الإرشاد، المشتمل على قواعد الاعتقاد، لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني، تأليف الإمام عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن بزيزة التونسي، ص: 46 تحقيق د. عبد الرزاق بسرور ود. عماد السهيلي، طبعة دار صادر، الكويت الطبعة الأولى1435هـ2014م.

[183]- القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، لأبي المواهب الحسن بن مسعود اليوسي، 168، تحقيق حماني اليوسي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، الطبعة الثانية شتنبر 2013.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

أولا :يعتبر المذهب الأشعري من أقوى المذاهب الكلامية السنية، باعتباره –كما يستنتج أحد الدارسين- من أقوى مدارس الفكر الفلسفي الإسلامي، تضم أقوى الشخصيات، وتتمتع بأخصب الآراء... [184]

كما يعد هذا المذهب السني الجماعي استئنافا للنظر العقلي المسدد بالشرع، ومؤسسا لمنطق الاعتقاد الإسلامي الذي يستمد مادته من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة.

ثانيا :لقد انتصر أئمة المذهب الأشعري في مبحث التوحيد لمعتقد السلف الصالح، القائم على الإثبات المفصل والمجمل للصفات على خلاف اتجاهات كلامية أخرى، اختارت النفي مذهبا لها، أو سقطت في أوحال التشبيه والتجسيم.

ثالثا :لقد استعان أئمة المذهب الأشعري بالتأويل بوصفه أداة لتحقيق التنزيه في صورته الشرعية، ضدا على عقيدة التشبيه والتجسيم المرفوضة إسلاميا. كل ذلك في إطار التأويل التفصيلي للنصوص الموهمة للتشبيه، وفي احترام كامل لنصوص الشرع الحكيم.

رابعا :لقد توسط أئمة المذهب الأشعري في علاقة العقل بالنقل، مع الانتصار لمنطق الشرع، فبعد التسليم بكون العقائد الإيمانية الإسلامية ثابتة شرعا ابتداء، توسل أئمة المذهب الأشعري بالعقل للدفاع عن تلك العقائد، بمقتضى أن السمع لا يُوجِدُ المعرفة، بل يُوجِبُهَا كما يقول الشهرستاني[185].

خامسا :لقد رفض أئمة المذهب الأشعري تكفير أهل القبلة من المسلمين، ومما أثر عن الإمام الأشعري رحمه الله كما يذكر زاهر بن خالد بن أحمد السرخسي قال: لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داره ببغداد، دعاني فأتيته، فقال: اشهد علي أني لا أكفر أحدا من أهل هذه القبلة، لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد وإنما هذا كله اختلاف العبارات. [186]

وهذا المبدأ العقدي أصبح راسخا في المذهب الأشعري، حيث عظم على أئمته رمي خصومهم بالتكفير...ثم إن تحصيل هذا الأصل العقدي – عدم تكفير أهل القبلة من المسلمين- واستيعابه ضروري لمواجهة بعض التيارات الفكرية التي تعيد إنتاج فكر تكفيري تضليلي عدمي من حيث المنهج، تَيْئِيسِيٌّ من حيث الأبعاد والمضامين.

سادسا :لقد تميز المذهب الأشعري في مجال الاشتغال العقدي الإسلامي بالوسطية والاعتدال التي تقوم على أساس التوفيق بين المذاهب الكلامية الإسلامية. وقد التزم أئمة المذهب الأشعري هذا المنهج الوسطي التوفيقي في عرض جميع عناصر العقيدة الإسلامية: الإلهيات والنبوات والسمعيات والإمامة العظمى.

سابعا :لقد أدرك أئمة المذهب الأشعري مكانة الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- ودورهم في حفظ الشريعة، وأن النيل منهم والطعن فيهم مدخل لهدم الدين من الداخل.

ومن ثم رأينا أئمة المذهب الأشعري يخصصون في آخر مؤلفاتهم العقدية مبحثا مهما لبيان عقيدة أهل السنة في الصحابة، وتدبير الخلاف الذي جرى بينهم، والدعوة إلى فهم ذلك في ضوء نصوص الشرع الحكيم، وفي نطاق

[184]- نشأة الأشعرية وتطورها، د. جلال محمد موسى، ص: 459.
[185]- الملل والنحل للشهرستاني، ج 1ص:42.
[186]- سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ج 15ص:88.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الأول – البحث الحادي عشر (ص: 302 - 334)
15 – نيسان – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

استحضار قيم الاختلاف المحمود الناتج عن الاجتهاد الذي وصفوا به جميعهم، على أن الأسلم للدين عدم الخوض في شيء من ذلك. لأنه كما قال بعض المعتبرين:" تلك دماء طَهَّرَ الله سيوفنا منها، أفلا نُطَهِّرُ ألسنتنا منها. [187]

ثامنا :من المقرر في المذهب الأشعري أن الإمامة العظمى هي خلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة. ومن ثم أوجب أئمة المذهب الأشعري على جميع أفراد الأمة طاعة ولي الأمر وعدم الخروج عليه. يقول ابن أبي زيد القيرواني:" ... والسمع والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم." [188] ويقول الإمام أبو جعفر الطحاوي (ت 321هـ):" ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو على أحد منهم، ولا ننزع يدا من طلعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عزَّ وجلَّ، ما لم يأمروا بمعصية، ندعو لهم بالصلاح والنجاح والمعافاة، ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة[189].

وهذا المعتقد هو الذي أجمع عليه أهل السنة أصحاب الحديث. كما يذكر الإمام الأشعري وينتصر له. [190]

تاسعا :تمكن المذهب الأشعري من وقف كثير من المدارس التي كانت تقدم نفسها للناس على أنها المتفردة بمخاطبة الفكر دون سواها وتمكن من الانتشار في كل بقاع العالم الإسلامي

عاشرا: خلقت الأشعرية رفقة المذهب المالكي والتصوف السني انسجاما مذهبيا وعقديا في المغرب جنبه كثيرا من القلاقل والفتن التي تقع في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي بسبب الخلافات العقدية. وتتبعنا لمختلف الأطوار التاريخية التي مر بها هذا الفكر في هذه المنطقة بالذات كشف لنا الآليات التي كانت تحركه، وأوجه تميزه واستقلاليته عن المدرسة الأشعرية في المشرق، وطبيعة العلاقة الجدلية القائمة بين هذا الفكر وخصوصية الواقع المغربي المميز، وملابساته التاريخية والاجتماعية والسياسية التي عرفها. سيما وأن الفكر الأشعري المغربي قد عرف قفزة نوعية، سواء من حيث تطوره التاريخي الحضاري، أو من حيث مضامينه وثوابته، أو منهجيته الفكرية والنظرية بفضل جهود علماء الغرب الإسلامي.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين../.

لائحة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
إبطال التأويلات لأخبار الصفات، للقاضي أبي بعلى محمد بن الحسين الفراء، تحقيق : محمد بن حمد الحمود النجدي ، الناشر: دار الإمام الذهبي في الكويت ط 1 1410 .
أبكار الأفكار في أصول الدين، للإمام سيف الدين الآمدي، ميكرو فيلم بمركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى مصور عن مكتبة أيا صوفيا بتركيا برقم 2165 توحيد 125/1ب.

[187]- أبكار الأفكار في أصول الدين، للإمام سيف الدين الآمدي، ج5ص:295. أبكار الأفكار، ميكرو فيلم بمركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى مصور عن مكتبة أيا صوفيا بتركيا برقم 2165 توحيد 125/1ب.
[188]- رسالة ابن أبي زيد القيرواني باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات.
[189]- العقيدة الطحاوية المسماة بيان السنة والجماعة.
[190]- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للإمام الأشعري، ص: 295 عني بتصحيحه هلموت ريتر. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. تأليف: الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، قدم له وكتب حواشيه الأستاذ نعيم زرزور، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، الطبعة الأولى 1426 هـ.

ابن خمير السبتي، مقدمات المراشد، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح-توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط:1، س ط:1429هـ/2008م

أعز ما يطلب، محمد بن تومرت، تحقيق: عمار طالبي، وزارة الثقافة الجزائرية-الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007،

الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: بشير عون، تقديم فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري ، الناشر : دار البصيرة 1413 هـ .
الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق وتعليق الدكتورة فوقية حسين محمود، الناشر دار الأنصار، القاهرة الطبعة الأولى1397 هـ

الإرشاد إلى قواطع الأدلة، لأبي المعالي الجويني، تحقيق: محمد مرسي وعلي عبد المنعم، الناشر: مكتبة الخانجي، 1369 هـ

الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الناصري احمد بن خالد: ط1، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1997

الإسعاد في شرح الإرشاد، المشتمل على قواعد الاعتقاد، لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني، تأليف الإمام عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن بزيزة التونسي، ص: 46 تحقيق د. عبد الرزاق بسرور ود. عماد السهيلي، طبعة دار صادر، الكويت الطبعة الأولى1435هـ2014م.

الإمام أبو الحسن الأشعري فحص نقدي لعلم الكلام الإسلامي تأليف: الدكتور محمد إبراهيم الفيومي، للناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى 1423 هـ.

الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وآراؤه الكلامية ن في كتابه اللمع. رسالة دكتوراة، تأليف: إبراهيم محمد برقان الناشر: جامعة آل البيت في الأردن، عام 1997 م.
الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك وأثره في المدرسة الأشعرية، إعداد الباحث: السيد أحمد محمود عبد الغفار، رسالة دكتوراة / جامعة الأزهر، قسم العقيدة والفلسفة، 1409 هـ- 1989 م.
التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط:2، س:1997،

التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد لأبي الحجاج يوسف الضرير، تحقيق: سمير قوبيع-محمد العمراني-نور الدين شعيبي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-ا المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط:1، 1435هـ/2014م،

الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الفاسي الشهير بميارة، دار الفكر، ط:1، 1429هـ/2008م،

العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية للسلالجي، شرح العقباني، تحقيق: نزار حمادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط:1، س ط:1429هـ/2008م

العقيدة الطحاوية المسماة بيان السنة والجماعة لأبي جعفر الطحاوي الحنفي ت 321هـ، شرح عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي ت 1298هـ، تقديم محمد صالح الفرفور، تحقيق محمد مطيع الحافظ ومحمد رياض المالح، الناشر: دار الفكر دمشق سورية ط2 سنة: 1412هـ.

الغنية للقاضي عياض، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط:1، س ط:1402هـ/1982م،

القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، لأبي المواهب الحسن بن مسعود اليوسي، تحقيق حماني اليوسي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، الطبعة الثانية شتنبر 2013م.

الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، لبنان ط1426هـ

المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ط:1، س ط:1403هـ/1983م،

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، تأليف تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية.

المواقف في علم الكلام، القاضي عبد الرحمن بن احمد الإيجي، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل . بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.

تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، 1421هـ/2000م،

تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام الحسن الاشعري لابي القاسم ابن عساكر الدمشقي تعليق محمد زاهد الكوثري الناشر المكتبة الازهرية للتراث القاهرة مصر الطبعة الاولى دت
تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، المعهد العالمي للفكر الإسلامي-فيرجينيا، ط:2، س ط:1415هـ/1995،

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض تحقيق: محمد بن تاويت د. محمد بنشريفة وآخرون الناشر: وزارة الأوقاف المغربية، الرباط المغرب، د، ت.

تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، يوسف احنانا، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003،

تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، بدون محقق، الناشر: الدار التونسية، طبعة، 1984 م.
تفسير الفخر الرازي: -المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب لمحمد الرازي، قدم له خليل الميس، الناشر: المكتبة التجارية لمصطفى الباز، بمكة المكرمة طبعة، 1414 هـ.
درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية أحمد بن عبد الله. تحقيق الدكتور محمّد رشاد سالم، طبع مطبعة دار الكتب، سنة 1971م.

ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، عبد الله كنون، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط:1، س ط: 2010،

رسالة ابن أبي زيد القيرواني (مالك الصغير) لأبي محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني (310هـ - 386 هـ) ومعها إيضاح المعاني على رسالة القيرواني لأحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، الناشر: دار الفضيلة القاهرة 2005م .

رسالة إلى أهل الثغر، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر الجنيدي، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1988،

سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وأكرم البوشي. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة، 1414 هـ.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية-القاهرة، 1349هـ

صحيح البخاري ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، طبع المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر إستانبول تركيا.
عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية، جمال علال البختي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط:1، س ط: 2005،
عقيدة المرادي الحضرمي، لجمال البختي، دار الأمان للنشر والتوزيع، س ط:1433هـ/2012م

كتاب الصلة لابن بشكوال، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري-القاهرة، دار الكتاب اللبناني-بيروت، ط:1، س ط:1410هـ/1989م،

لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، أبو الحجاج يوسف المكلاتي، تحقيق: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط:1، س ط:1977، ص:213.

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. تأليف: الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، قدم له وكتب حواشيه الأستاذ نعيم زرزور، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، الطبعة الأولى 1426 هـ.

نشأة الأشعرية وتطورها لجلال محمد موسى، الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت. د.ت.